تفسير سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

 والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم نسألك علمنا نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من العلم والعمل وأنت أرحم الراحمين .

هذه السورة سورة النجم سميت بذلك لذكر النجم في مطلعها وأسماء السور كما سبق أن ذكرنا لكم للتمييز ما بين سورةٍ وسورة ، قد يكون ذكر النجم في غيرها ولكن سميت به هذه . كما أن غيرها سمى باسم آخر لشيء اشتملت عليه السورة والأسماء أسماء السور ليست توقيفية ، بل هي مما يدخل فيه الاجتهاد لأنها تعريفية ، ولهذا ذهب جماعة من الصحابة ومن التابعين إلى أنه لا يقال سورة كذا لأنها لم تسمى بذلك في كل السور من عند الله جل وعلا قالوا : والأولى أن يقال السورة التي يذكر فيها كذا ، السورة التي يُذكرُ فيها النجم ، السورة التي تذكر فيها الواقعة ، السورة التي يذكر فيها الحديد ، السورة التي يذكر فيها البقرة ، وهذا منهم مصير إلى أن أسماء السور للتعريف كما هو معلوم في موضعه من علوم القرآن والإضافة سورة النجم سورة البقرة لا بأس بذلك ، لأن الإضافة كما هو معلوم من أغراضها التخصيص ، فهذه السورة خصصت بهذا الاسم الذي هو النجم ، والنجم في

القرآن أتي على عدة معاني ، أتي النجم ويراد به النجم المعروف ، الكواكب المعروفة في السماء ، وفي القرآن الكواكب والنجوم بمعنى واحد لا يفرق فيه ما بين النجوم والكواكب بأن النجم ماله إضاءة ، والكوكب ما ليس له إضاءة بنفسه كما هو تفريق ذوى العلوم الخاصة ، بل النجم والكوكب بمعنى واحد وإذا الكواكب إنتثرت الكواكب التي هي النجوم التي في السماء هذا في الجملة ، يعنى أن النجم والكوكب بمعنى واحد أو النجوم والكواكب بمعنى واحد ، ويدخل فيها النجوم السيارة المعروفة ، ويدخل فيها الثوابت كما هو اصطلاح أهل الهيئة في ذلك وأهل والفلك القدماء يعنى اللي تراها في السماء في الليل هذا يسمى نجوم سواء كان منها المريخ و المشترى والزهرة أو كان النجوم التي هي البروج مثل الثريا والحوت وإلى آخره . ولهذا ترى هنا اختلف منهم من قال والنجم إذا هوى اللي هو الثريا أو الزهرة أو كذا أو كذا لدخول الاسم على الجميع . ثم النظر في مسالة الاختصاص بالهوى .

المعنى الثاني للنجم في القرآن : هو الشجر الذي لا ساق له فإن ما ينبت في الأرض نوعان : شيء له ساق وشيء لا ساق له ، فإذا كان له ساق يقال له شجر ، وما لا ساق له يقال له نجم ، وهذا فيه التفسير المعروف في سورة الرحمن في قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان

ففسر النجم هنا إذ قرن بالشجر بأن النجم هو مالا ساق له مثل يعنى ما يكون لها ارتفاع ، والشجر ما له ساق قد يكون عظيم يصير دوحه ، قد يكون صغير تصير جزلة . وأشباه ، يعنى الشجر أنواع في ذلك . فالشجر جنس والنجم كذلك جنس .

والمعنى الثالث للنجم في القرآن : أن النجم هو ما اختص بقسمة ، فإذا كان شيء يختص بقسمةٍ يقال للقسمة هذه أو للأقسام نجوم ويقال للقسم نجم بمعنى حصة أو بمعنى قسم أو نصيب ، وهذا هو معنى قولهم نزل القرآن منجّماً يعنى مقسماً نزل ليس جملة واحدة وإنما نزل منجماً يعنى على حصص مختلفة الزمان والمكان مقسم ، وهذا فسر به قوله جل وعلا فلا اقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم فسرت النجوم هنا بأنها نجوم تنزيل القرآن ، وفيه الحديث حديث ابن عباس الموقوف عليه إن القرآن نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة ، يعنى مفرقاً وهو معنى قوله جل وعلا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث فرقناه يعنى أنزلناه نجوما لم ينزل جملة واحدة إذا تبين لك ذلك فهذه قاعدة في اختلاف السلف في التفسير ، سبق أن ذكرت لك طرفا من ذلك ، يختلفون في التفسير في آية لأن المفسر ينظر إلى موارد مجيء الكلمة في القرآن فيأتي هذا بوجهة وهذا بوجهة لإدخاله معنى هذه الكلمة في أحد المعاني فإذا نظر في الآية رجح دخول هذه الآية في معنى من المعاني التي جاءت في القرآن فسرها بهذا التفسير ولهذا في هذه الآية كما سمعتم والنجم إذا هوى اختلف في تفسيرها على هذه الأقوال الثلاثة : منهم من قال : النجم النجم المعروف على هل هو المشترى أو هل هو الزهرة أو هو النجم العادي ، إذا رُجم به إلى آخره ، هذه كلها راجعة إلى القول الأول ، أو أن النجم إذا هوى هو القرآن ، فإن هذا أيضاً يعنى نظروا فيه إلى هذا المعنى ، والراجح من القولين هنا المذكورة أو

الأقوال اللي هي راجعة إلى قولين . أن النجم هذا هو النجوم التي تنقض وذلك لأنها آية من الآيات ظاهرة ترى في السماء ويناسب ذلك أن هذه السورة فيها ذكر الوحي ، وهو من مقاصد السور المكية ، ذكر الوحي وإقامة الآيات عليه كما قال جل وعلا هنا ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحي علمه شديد القوى .....ـ الآيات .

فذكر الوحي هذا ذُكر قبله ما يحرص به الوحي والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى لأنهم قالوا إن الذي يأتيه كهانة أو الذي يأتيه سحر ، وهذا كله من صنيع الشياطين والجن التي تسترق السمع فبين جل وعلا أن النجوم تحرس الوحي من أن يؤخذ والنجم إذا هوى يعنى للحراسة الوحي ، وهذا النجم هي النجوم المعروفة الشهب المعروفة : إلا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين فقوله جل وعلا هنا ما ضل صاحبكم وما غوى هو جواب القسم يعنى الأمر الذي لأجله أقسم بالنجم هو نفى الضلال عن النبي عليه الصلاة والسلام ونفى الغواية ، ونفى الضلال ونفى الغواية متعلقة بالوحي الذي جاءه وأنه ليس بكهانة ، ولهذا أقسم بالنجم الذي هو حامٍ للوحي من أن يكون من عند غير الله جل وعلا ، أو أن يكون وحي ، أو أن يكون من الشياطين ، ذكر لك هنا القاعدة المعروفة بالرواية . أن الله جل وعلا له أن يقسم بما شاء من خلقه والنجم إذا هوى أقسم الله جل وعلا بالنجم لله جل وعلا أن يقسم بما شاء من خلقه ، أما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بالله جل وعلا وهذا سبق الكلام عليه ، لكن نذكر أن الغرض من القسم هو ذكر المقسم

عليه يعنى ذكر جواب القسم ، والمقسم به لابد أن يكون شيئاً فيه ما يلفت إلى المقسم به . ما يلفت إلى المقسم عليه اللي هو جواب القسم ، فلذلك المخلوق لا يجوز له أن يُعظم إلا الله جل وعلا ، ولا يجوز له أن يلفت الانتباه ولا أن يؤكد الكلام بذكر غير الله جل وعلا والله سبحانه وتعالى آياته كثيرة فيلفت إلى عِظم الكلام وعِظم المقسم عليه بالقسم بأنواع آياته العظيمة ، وكل ما أقسم الله جل وعلا به فهو آية من آياته سبحانه ، إذ ربنا جل وعلا دل على عِظم بعض مخلوقاته بالقسم بها والأشياء التي أقسم الله جل وعلا بها من مخلوقاته هذه آيات التأمل فيها يدل على وحدانية الله وعظمة ربوبيته . قوله هنا ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ تفريقه بين الضلال والإغواء بما سمعت هذا واضح لأن الغواية لا تكون إلا بعد العلم والرشد ، لا يقال كان عالماً فضل ، لأن العلم ضد الضلال فكونه صار عالما وخرج من مقتضى العلم إلى غيره يعنى ترك ذلك ، يقال له غوى ، ولا يقال ضل ، لأن الضال هو الذي تاه عن الطريق عن غير علم ، أما إذا تاه عن الطريق عن علم صار غاويا ، ولهذا قال جل وعلا في سورة الأعراف ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴾ ولم يقل فكان من الضالين لأنه علم فتاه عن الطريق وترك بقصده وخلوده إلى الأرض وركونه إليها ، وهذه هي الغواية فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يضل بأنه تاه عن الطريق عن غير علم ولم يعلم أيضاً الحق فتاه عن الطريق . وإنما علم الحق ولزمه ﴿ فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم ﴾ ما ضل صاحبكم عن الحق ، وما

غوى فعلم الحق وكتمه بل هو على الطريق وقد علم الحق . لما ؟ لأنه لم يأت شيئاً من نفسه . بل هو وحي يوحي ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي ﴾ وعن في قوله ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ هذه بمعنى الباء التي هي السببية يعنى وما ينشأ ما يتكلم به بسبب الهوى ، ينشأ عن هوى ، يعنى بسبب الهوى ، ويقال نطق بالشيء عن الشيء يعنى نطق بما تكلم به عن مراده بسبب كذا ، يعنى هذا المراد الخفي ، يؤتي بأن بعن في ذلك للدلالة على المعاني الباطنة . ﴿ إن هو إلا وحي يوحي ﴾ الوحي في القرآن كما هو في اللغة هو الأعلام في خفاء ، الأعلام بالخبر أو بالأمر أو بالنهى في خفاء هذا هو الوحي ، وإذا كان كذلك فيصير السر فيما بينك وبين فلان يصير وحياً لأنه إعلام في خفاء وتصير الكتابة أيضاً وحي ، لأنها إعلام في خفاء يصير الإلهام وحي لأنه أمر ونهى وإعلام بالأمر والنهى في خفاء كما قال جل وعلا ﴿ فأوحي إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ أوحي إليهم إما بالإشارة أو بالكتابة ، ولهذا تسمى الأقلام وحي ، الأقلام عند العرب تسمى وُحي لأنها بها يكون الإعلام في خفاء ما أحد يعرف وكذلك الإلهام بأنواعه ﴿ وأوحي ربك إلى النحل ﴾ هذا إلهام لأنه إعلام عن طريق الخفاء ، وإذا كان كذلك . لم يتحصل في مسألة الوحي وكلام الله جل وعلا أن الوحي لابد فيه من كلام ، هذا غير مراد ، الوحي إعلام في خفاء يحصل هذا الإعلام بكتابة بإشارة بسر في الأذن ، يحصل بأي طريقة حديثة أو قديمة هذا يدخل لغة في الوحي ، ولهذا سمى ما ينزل به الملك والناموس على النبي والرسول سمى وحي

بأنواعه المذكورة في آخر سورة الشورى سمى وحي لأنه لا أحد يعلم به إلا الرسول فيأتيه الملك فيوحي إليه وإن الناس بجنبه بجنب الرسول لا يدرون ماذا أوحي إليه حتى يفصم عن الرسول فيخبر بما أوحي الله جل وعلا إليه ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا إن هو إلا وحي يوحي و((إن)) هنا بمعنى ما يعنى ما هو إلا وحي يوحي و((ما)) و ((إلا)) هذه للحصر حصر الأول في الثاني ، حصر محمد عليه الصلاة والسلام في الوحي ولما قال وما ينطق عن الهوى إن هو يعنى في نطقه فنطق محمد عليه الصلاة والسلام وحي يوحي هذا حصر لجميع حالاته عليه الصلاة والسلام فما نطق به عليه الصلاة والسلام مبلغاً إياه للأمة فهو وحي أوحاه الله جل وعلا إليه سواء أكان من القرآن أو كان من الأحاديث القدسية أو كان من السنة النبوية فكل ذلك وحي من الله جل وعلا ، قد يقول الشيء عليه الصلاة والسلام عن اجتهاد ولكن لا يقر على ذلك فما أخبر به عليه الصلاة والسلام ومضى دون بيان أنه ليس بمراد أو دون نسخ له أو دون بيان الاجتهاد فيه ، فهذا كله من الوحي سواء أكان من القرآن أو من السنة كما ثبت في السنن أنه عليه الصلاة والسلام قال ((ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه .)) وصح عن حسان بن عطية رحمه الله من التابعين أنه كان يقول : كان جبريل ينزل على النبي بالسنة كما كان ينزل عليه بالقرآن ، فهو عليه الصلاة والسلام وحي يوحي عليه الصلاة والسلام .
أحاديث شريك بن أبي نمر ، حديثه عن أنس في الإسراء وفيه أغلاط قد روى البخاري منه قطعة كبيرة معروفة وفيها بعض الأوهام وإنما والوهم جاء

من شريك شريك بن أبي نمر ثقة لكنه وهم في أشياء في حديث الإسراء منها هذا الذي ذكره ومسلم رحمه الله تحرى في الرواية وذكر في إثناء الرواية أو في آخر الرواية أن شريكا قدم وآخر وزاد ونقص ، فالمقصود أن رواية شريك هذه فيها أغلاط في مواضع في حديث الإسراء وهذه الألفاظ تكون شاذة يعنى الأصل أصل الحديث صحيح لكن فيه ألفاظ تفرد بها شريك فتكون شاذة ، وقد جمع بعض الحفّاظ أغلاط شريك في هذا تجدونها في الفتح في موضعها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .... أما بعد .

فهذه الآيات فيها ذكر معراج النبي عليه الصلاة والسلام إلى الله سبحانه وتعالى ، وذكر عروجه إلى ربه ومجيء جبريل عليه السلام إليه فبعد أن ذكر الله جل وعلا صفة نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي بين جل وعلا أن الذي علمه هذا الوحي هو جبريل عليه السلام نازلاً به من الرب سبحانه وتعالى ، فقال جل وعلا هنا علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادني

وهذه كلها في صفة المعلّم وهو جبريل عليه السلام الذي نزل بالعلم إلى محمد عليه الصلاة والسلام فقوله هنا جل وعلا يعنى علم محمداً شديد القوى ، وشديد القوى هو جبريل ، لأنه أقوى الملائكة ، وأعظم الملائكة صورة وقوة ، كما وصفه سبحانه

هنا بقوله ﴿ شديد القوى ذو مرّة فاستوى ﴾ فهذه ثلاث أوصاف شدة القوى ، وأنه ذو مرة ، والمرة هي القوة مع المنظر الحسن في التعبير عن القوة والوصف الثالث : الاستواء ، والاستواء معناه الكمال ، كمال الأوصاف وعلو الأوصاف التي تمثل القوة كما قال جل وعلا في وصف موسى عليه السلام : ﴿ فلما بلغ اشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً ﴾ ﴿ فلما بلغ اشده واستوى ﴾ يعنى تكاملت القوة فيه والصفات صفات القوة وصفات النضج فيه ، إذا تكاملت صار الموصوف بها مستويا ، هذا راجع إلى أصل معنى استوى في اللغة وهو العلو . فإنها إذا لم تتعد بعلى ولا بإلى فإنه يكون المقصود من استوى أنه العلو الذي يناسب السياق ، وعلو الصفات هنا المقصود به صفات القوة لأنه هو المعنى بالآيتين : ﴿ فلما بلغ اشده واستوى ﴾ يعنى في القوة والصفات ، وهنا قال جل وعلا ﴿ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ﴾ في ذلك .

والقول الثاني في قوله ﴿ فاستوى ﴾ هنا أنه استوى بالأفق يعنى على متقدماً للنبي عليه الصلاة والسلام وكلا المعنيين صحيح ، قوله ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ هو الضمير يرجع إلى المتحدث عنه وهو جبريل عليه السلام ، أن هذا هو الأصل في أن تكون الضمائر راجعة إلى شيء واحد ﴿ علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ﴾ كل هذه الضمائر راجعة إلى جبريل عليه السلام فيكون: ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ يعنى أن جبريل جاء بالأفق الأفق الأعلى يعنى من حيث نظر الإنسان أعلى الآفاق ، من حيث نظر الإنسان ، والأفق هو ما يقابلك من جهة التقاء السماء بالأرض في وجه الناظر هذا

الأفق ، وأما ما يكون فوق السماء يعنى في وسط السماء في كبد السماء أو مرتفع كثير فهذا لا يقال له أفق ، أما الأفق فهو الذي أمامك من جهة التقاء الأرض بالسماء في نظر الناظر .
ونزل جبريل عليه السلام بقوله سبحانه والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى رآه على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد الأفق ، والمرة الثانية لما نزل جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام ليسرى به إلى المسجد الأقصى ثم يعرج به إلى ربنا وتقدست أسمائه .
القول الثاني هنا في قوله : وهو بالأفق الأعلى المقصود به أنه محمد عليه الصلاة والسلام ، وقال الأول أظهر منه كما سمعت ، الأفق ذكرت لك معناه ، وقوله هنا وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتولى دنا يعنى جبريل عليه السلام فتدلى قرب إلى محمد عليه الصلاة والسلام وناسب وصف جبريل بالتدلي ، لأنه على هيئة طير له ستمائة جناح خلق عظيم ، جعل الله جل وعلا الملائكة لهم تلك الأجنحة العظيمة تناسب التدلي ، وأما ما جاء أن الذي دنا فتدلى هو رب العزة فهذا كما ذكرنا ليس بصحيح . بل إن ذلك من الأغلاط المعروفة لشريك في حديث الإسراء .
المقصود من هذا أن قوله ثم دنا فتدلى كلها راجعة إلى جبريل عليه السلام . فكان جبريل قاب قوسين أو أدنى وكلمة قاب لها معانٍ والمناسب هنا منها تكون بمعنى قدر ، فكان قدرً قوسين في القرب . أو أدنى من ذلك . وهذا التعبير تستعمله العرب في كلامها للتحقيق . لتحقيق الوصف الأول فتأتى بأو التي هي في الأصل للتخيير أو للشك

لتحقيق الأول مثل ما ذكر لك ابن كثير في التفسير هنا في قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة يعنى أن الأول متحقق . فهي كالحجارة أو أشد قسوة لتأكيد أنها صارت كالحجارة . وليس الحجارة الأول تقريب ولكنه تحقيق . وكذلك في هذه الآية كان قاب قوسين أو أدنى يعنى أن قربه بقدر القوسين هذا متحقق في ذلك . وقرب هذا من هذا ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى يعني أوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد ما أوحاه إليه وفي قوله : فأوحى إلى عبده ما أوحى فيها فائدتان من جهة البلاغة :

الفائدة الأولى : أن قوله أوحى إلى عبده بدون تسميته باختلاف مرجع الضمير فيه تشريف وتعظيم للنبي محمد عليه الصلاة والسلام ، ودخول الضمائر أو الاسم الظاهر مع ضميره في الإضافة بما يخالف السياق ، هذا له فائدة في علم المعاني في التنبيه على بحيث إنه لذلك أدخل بين المتعاطفات المختلفة وقوله : فأوحى إلى عبده الأصل أن تكون مرجع الضمير كبقيتها يعنى إلى عبد الموحى وهو جبريل ومعلوم أن النبي عبد لله جل وعلا فهنا عبر بالضمير لأن ذلك فيه تشريف للنبي عليه الصلاة والسلام وهو في كل مقام لا يشتبه لعظمته وشرفه أن يكون عبداً لله جل وعلا فهو عبده ، يعنى عبد الله ؟

الفائدة الثانية : في قوله ما أوحى وهذه أيضاً لتعظيم الموحى به فهنا لم يذكر ما أوحاه ، ولم يقتصر على كونه أوحى فقط وإنما قال فأوحى إلى عبده ما أوحى فهذا يدل على أن المشركين

الذين أعرضوا عن الوحي ، أعرضوا عن أمر عظيم .
كما قال سبحانه في سورة ص قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون وهذا النبأ العظيم نفهمه من قوله فأوحى إلى عبده ما أوحى يعنى لعظمة هذا الوحي وما فيه وجلاله ، وارتفاع ما فيه من الأوامر والنواهي والأخبار حيث أنه لا يذكر تفصيله وإنما يذكر هكذا على وجه الإجمال فأوحى إلى عبده ما أوحى وهم يجادلون في الوحي في الأصل فإذن هذه الآيات فيها كما ذكرت لك قرب الإسراء ومجيء جبريل عليه السلام إلى النبي .
ثم بعد ذلك يأتي ذكر المعراج: ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى .
وذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا في الرؤية هل كانت رؤية فؤاد أو كانت رؤيا روح وأما فالقول بأنها رؤيا عين فإن هذا لا يصح أن ينسب إلى الصحابة ، لأنه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه سأله أبو ذر فقال له رأيت ربك ؟ فقال ((رأيت نورا)) وفي رواية قال ((نورُ أنّى أراه)) يعنى ثَّم نور وهو الحجاب فكيف أرى الجبار جل وعلا ، ورؤيا الفؤاد ، ورؤيا الروح هذه هي التي فيها تنازع بينهم .
هل رآه بفؤاده ؟ يعنى فتكون رؤيا منام رؤيا قلب بما أوحى الله جل وعلا إلى محمد وأعطاه في قلبه ، أم هي رؤيا روح بدون حاسة البصر العينية في السماء لما عرج به جبريل إلى الرب جل وعلا هذا هو الذي فيه الخلاف بينهم ، أما القول بأنه رآه بعينه فهذا ليس من أقوال الصحابة ويغلط من ينسب ذلك إلى الصحابة رضوان الله عليهم .
فما ذُكر عن البغوي هذا ليس بجيد لأنه اشتباه وقد نبه العلماء كشيخ الإسلام ابن الغنيم عن الفرق بين

قول القائل رآه بعينه ورآه بروحه ، فرؤيا العين شيء ورؤيا الروح شيء ، ورؤيا الفؤاد شيء ، والخلاف هل رآه بروحه أو بفؤاده ، أما رؤيا العين فإنه لا قائل بأنه رآه بعيني رأسه من الصحابة يعنى بحيث يصح ذلك عنه وقوله ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بأنه رآه بفؤاده مرتين وهذه حملها على رؤية الرب جل وعلا ، والقول الآخر ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ يعني في رؤيته لجبريل ولآيات الله جل وعلا العظمى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، وخاتم الأنبياء وخاتم والمرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .... أما بعد .

فهذا بيان لبعض ما اشتمل عليه قوله جل وعلا في أول هذه السورة ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ قوله جل وعلا ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ هذا ظرف لما تقدم يعني ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ يعني حين غشيَّ السدرة ما يغشى وهذا الغشيان للسدرة وصف ملازم لها فقوله حين غشيَّ السدرة ما يغشاها من الأنوار والملائكة إلى آخر ذلك هو ظرف للرؤية وهو كذلك هو وصف ملازم للسدرة فالسدرة سدرة المنتهى دائماً يغشاها ما يغشاها مما خلقه الله جل وعلا فيها ولها .

وقوله سبحانه هنا إذ يغشى السدرة ما يغشى ما يغشى هذه فيها :
أولاً : الإبهام .
وثانياً : فيها العموم ، لأن كلمة ما هذه اسم موصول وهي من أدوات العموم ويعني كأنه قال إذ يغشى السدرة الذي يغشاها وصلة الموصول كما هو معلوم محذوفة لأنها هي الضمير المتصل لأن القاعدة أن الضمير المتصل بالفعل المضارع الذي يعود على الاسم الموصول فإنه يحذف كثيراً كما قال ابن مالك رحمه الله في الألفية . والحذف عندهم يعنى في باب الاسم الموصول .

والحذف عندهم كثير منجلي في عائد متصل إذ انتصب

فالعائد على الاسم الموصول إذا كان منتصباً ومتصلاً فإنه يحذف كثيراً كقوله هنا إذ يغشى السدرة ما يغشى أصل الكلام إذ يغشى السدرة ما يغشاها وهذا نأخذه من معنى ما إذ أنها اسم موصول فإذن دل الاسم الموصول على العموم على عموم ما يغشاها دون تخصيص لبعض ما يغشاها فإذن يدل هذا على أن ما ذكره الحافظ ابن كثير هنا إنما هو تمثيل يعني : ذكر بعض ما يغشاها ، وليس هذا على سبيل الحصر فغشيان الملائكة لسدرة المنتهى وكونهم عليها يقعون على أوراقها كالغربان على الشجر ، هذا بعض ما يغشاها ، وهذه الأنوار العظيمة التي رآها النبي عليه الصلاة والسلام والألوان الغريبة التي لا يحسن عليه الصلاة والسلام حكايتها لغرابتها وتداخلها وكونها لائقة بسدرة المنتهى أيضاً هذا مما يغشاها وهكذا في أشياء أخر .

الفائدة الثانية :أن الإبهام في قوله ما يغشاها
هذا يدل على عظم ما يغشى وعلى أن وصفه
للبشر لا يمكن ، أو يطول وصفه لأن من قاعدة
العرب في كلامها أنه إذا كان شيء يطول وصفه
يستعاض عنه بالإبهام بما ، كما تقول مثلاً في حادثة
كذا ، أو يوم وقع غزو آل فلان على آل فلان ، والتي
حصل فيها ما حصل والتي كان فيها ما كان ، يعني
تغني هذه الكلمة المبهمة بما عن ما يوصف لطول
وصفه أو لتعداد وصفه فكأنه أعرض عن تفصيل
الوصف لأنه كثير ، فمثل هذا يدل على عظمة
الموصوف وعلى جلالته ، وعلى أنه لا يحيط به
الوصف وهذا في الواقع هو حال سدرة المنتهى ،
فإنها عظيمة جداً بيَّن النبي عليه الصلاة والسلام
في السنة بعض أوصافها كقوله إن أوراقها كآذان
الفيلة وهنا إذ يغشى السدرة ما يغشى إلى آخر
ذلك وقوله جل وعلا ما زاغ البصر وما طغى هذا
نفي أن يكون بصر النبي عليه الصلاة والسلام زاغ
أو طغى ولا شك أن في هذا أعظم تزكية للنبي عليه
الصلاة والسلام بأن ذلك المقام العظيم فوق
السماوات السبع ورؤية تلك الأشياء العظيمة وما
في السماء منذ عُرِج به إلى أن انتهى إلى سدرة
المنتهى عليه الصلاة والسلام ، هذه الأشياء العظيمة
توجب للإنسان العادي أن ينظر وأن يلتفت يميناً
وشمالاً وأن يتعدى حتى يكون على معرفة أو على
نظر فهو عليه الصلاة والسلام لم يلتفت يميناً ولا
شمالاً ما زاغ بصره بمعنى لم يلتفت يمنة ولا
يسرة ، بشيء لم يؤذن له فيه أيضاً ولا طغى لم
يتجاوز الحد فيها أذن له فيه أيضاً ، فهو عليه الصلاة
والسلام في ذلك والمقام العظيم ، مقام المعراج

لم يزغ بصره ولم يطغ وهذا التنزيه له عليه الصلاة والسلام وهذه التزكية تدل على عِظم مقامه في السماء فكيف يكون إذن مقامه في الأرض التي هي بالنسبة إلى ما رآه عليه الصلاة والسلام في السماء كلا شيء هذا يرد له على المشركين وعلى الذين يكذبونه عليه الصلاة والسلام أو يُدَّعون أنه لم يسر به أو لم يعرج به ، أو لم يأت بالرسالة من عند الله جل وعلا ، وقوله سبحانه لقد رأى من آيات ربه الكبرى اللام في قوله لقد ، هي الواقعة في جواب القسم ، وهي التي يسميها العلماء الموطئة للقسم يعني الدالة على قسم محذوف أصل الكلام ، والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى لأن تحقيق الكلام يأتي بقد فإذا كان مقسماً عليه قيل لقد فأصل الكلام والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقوله قد رأى من آيات ربه الكبرى كما ذكر الحافظ ابن كثير مما استُدِل به على أن رؤية النبي عليه الصلاة والسلام لله جل وعلا لم تحصل لأنه رأى وأقسم على ذلك أنه رأى من آيات ربه ، وآيات الله جل وعلا هي المخلوقة وأما الله سبحانه ، أما الرب جل وعلا فإن مفهوم الكلام هنا أنه لم تحصل رؤية له ، وهذا هو الموافق لما جاء في السنة أنه عليه الصلاة والسلام قال (رأيت نوراً) وقال نورٌ أنى أراه يعني أنه لم يرى ربه جل وعلا بعيني رأسه عليه الصلاة والسلام ، وقوله من آيات ربه الكبرى القدر أي من آيات ربه الكبرى كما ذكر كقوله جل وعلا لنريه من آياتنا فهو جل وعلا وتقدس وتعاظم أعطى الأنبياء آيات وهذا الإعطاء إما أن يكون لأنفسهم لتقوية إيمانهم ويقينهم وطمأنينتهم للحق الذي جاءهم وإما أن يكون لغيرهم والنبي عليه الصلاة والسلام أعطى

هذا وهذا فأُرِيَ آيات لتكون حجة عليه ، عليه الصلاة والسلام فرآها ولم يرها غيره عليه الصلاة والسلام من أمته مما حصل في السماء في المعراج ،
وكذلك مما يحصل في الأرض مما لا يراه غيره كذلك من أمور الغيب التي يطلع عليها عليه الصلاة والسلام وكذلك من كشف الجنة له وكشف النار له وكذلك من رؤية الجن والشياطين على هيئتهم والملائكة إلى آخر ذلك ، فأمور الغيب ربما كشفت له عليه الصلاة والسلام كما قال سبحانه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ويشمل ذلك الغيبيات المرئية والغيبيات المعلومة ، وأيضاً استدل بهذه الآية وهي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى على أن آيات الله جل وعلا منقسمة إلى آيات كبرى وإلى آيات صغرى وأن الأنبياء يعطون من الآيات الكبرى والآيات الصغرى ما يكون دليلاً على صدق نبوتهم وصدق رسالتهم وأن ما جاءوا به حق وكرامات الأولياء لا تبلغ الآيات الكبرى التي أعطيها الأنبياء وأعطيها المرسلون وإنما قد تبلغ بعض الآيات الصغرى في ذلك فآيات الله جل وعلا كبرى وصغرى ، وهذا فيه دليل لأهل السنة والجماعة في أن آيات الأنبياء والمرسلين لا يمكن أن تصل إليها كرامات الأولياء خلافاً الأشاعرة وأمثالهم ممن قالوا إن آيات الأنبياء وكرامات الأولياء تكون بمرتبة واحدة .

س : كيف يفرق بين الصغرى والكبرى ؟

ج : من حيث الوقوع ، الأشياء الآية التي لا يكون مثلها شائع أو لا يكون مثلها حاصل فهذه هي الآيات الكبرى مثل انشقاق القمر والقرآن والمعراج وأمثال ذلك

والآيات الصغرى : هي التي قد تحصل من الخوارق مثل : نبوع الماء من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام ، ومن مثل تحرك الشجر له عليه الصلاة والسلام ، أو معرفته ما في نفس الدابَّة أو أشباه ذلك لأن مثل هذه الأشياء حصلت للأولياء ، والأولياء في كراماتهم لا يحصل لهم ما يساوي الآيات الكبرى ، وقد يحصل لهم شيء من الآيات الصغرى ، ودلائل النبوة بالأصالة في الآيات الكبرى والآيات الصغرى مساعدة ومتممة وكالشواهد للآيات الكبرى ، والآيات الكبرى قليلة والآيات الصغرى كثيرة وهذه كلها تجدها في الكلام على كرامات الأولياء ودلائل النبوة في مواضعها من كتب الأئمة .

س :

ج : الكبرى تأنيث الأكبر ، الأكبر هذا مذكر والكبرى هي مؤنث ، المؤنث هنا راجع للآيات فالآية كبرى والآيات كبرى يعني للفظ ، كما أن المفرد يقال : هذا شيء ومثلاً هذا البناء أكبر وهذه الأبنية أكبر فرجوع أكبر كبرى ، ليس في لفظها ما يدل على الوحدة أو على الجمع والسياق هو الذي يحدده فهنا في قوله آياته   لقد رأى من آيات ربه الكبرى لقد رأى الكبرى من آيات ربه ، وهذا يحتمل أن يكون المراد آية واحدة ، وآيات من حيث اللفظ لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه أو لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه قد تكون هذه وقد تكون هذه والحاصل أنه عليه الصلاة والسلام رأى عدة آيات لم يرى آية واحدة رأى آيات كثيرة ، والآية هي الدالة يعني الأمر أو الحالة أو الشيء الدال على المراد منه دلالة واضحة بينة لا التباس فيها فيقال هذا الشيء عنوان كذا إذا كان دالاً عليه لكن قد يكون

فيه اشتباه ، وهذا الشيء دليل كذا إذا كان دالاً عليه ولو فيه اشتباه لكن لا يقال آية حتى تكون دالة بوضوح وعدم اشتباه على المراد ولذلك سميت معجزات الأنبياء آيات وبراهين آيات لأنها دالة دلالة واضحة على المراد وآيات القرآن سميت آيات لذلك وهكذا آيات غيره من كتب الله جل وعلا فالآية هذه من حيث أنها لا تشتبه مع غيرها ما يدل دلالة واضحة على المراد .

قال تعالى أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * إن تتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * أم للإنسان ماتمنى * فلله الآخرة والأولى * وكم من ملك في السماوات والأرض لا تغني شفاعتهم شيئاً * إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين أما بعد فقول الحق وتقدست أسمائه أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى هذا فيه إنكار على هؤلاء المشركين الذين بُعث رسول الله إليهم وفيهم وآلهة المشركين متنوعة منها ما هو على صورة رجل ومنها ما هو على صورة ملك ومنها ما

هو على صورة كوكب ، وهذه هي التي يسمونها الأصنام ، وهناك أشياء تبع لهذه الأنواع وهي البقاع والأماكن التي كان يتنزل فيها أو يتعبد عندها الصالح من الرجال أو يأتي فيها اثر الكوكب أو يأتي فيها الملك الذي يعبد وهذه الأشياء إنما وضعت بالأقيسة الفاسدة فكل موضع عبد من المواضع من البقاع أو الأشجار أو أشباه ذلك فهو راجع إلى اثر روح إما روح ولي أو روح كوكب يسمونها روحانية الكواكب ، أو روح ملك وأشباه ذلك وهذا لهم فيه فلسفة متنوعة وبهذا يتبين لك أن القراءتين في قوله اللّات بالتخفيف وبالتشديد أنها في المعنى واحد لأن من قرأ أفرأيتم اللاتَّ أراد الرجل الذي يلتَّ السويق وسميت الصخرة لات سميت الصخرة لات بالتخفيف نسبة إلى فعله وعُبدت لا لأنها صخرة ، لكن لأنها مكان كان يتعبد فيه ذاك الرجل ويحسن إلى الناس وهذه كما سمعت كانت في الطائف ، لقبائل الطائف وما والاها من ثقيف وغيرهم فقراءة من قرأ وابن عباس ومجاهد قراءة غيرهما أفرأيتم اللاتَّ يعني الرجل كان مدفوناً عند تلك الصخرة أو اللّات يريدون بها الصخرة ، لأنها هي التي كانت تعظم ووضع عليها البيت الذي يقصد وله السدنة وعليه الأستار إلى آخره .

والعزى : لقريش كما سمعت ، ومناة : هذه للأوس والخزرج وهذه أمثلة لأعظم ثلاث من الآلهة التي كانوا يعبدونها وهذه الآية كما ترى فيها إنكار للهمزة هذه أفرأيتم اللات والعزى وذكرت لك من قبل أن الهمز إذا جاء بعده فاء أو واو في القرآن بل وفي كلام العرب فإن ذلك معناه أن ثم جملة حُذفت ما بين الهمز والفاء لأن الفاء أو الواو عاطفة

وتعطف ما بعدها على ما قبلها ، وما قبلها محذوف لكراهة الفصل ما بين الهمز وحرف العطف ، فهنا المحذوف يقدر بحسب السياق كأن تقول مثلاً هنا في التقدير أتنكرون وحي محمد عليه الصلاة والسلام وعبادته ربه وحده لا شريك له ، أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى يعني من جهة رؤيتكم لها وإعزازكم لها وعبادتكم لها أنكرتم ذلك وأنتم في عبادتكم هذه لها ، ما أعطيتم الله جل وعلا حقه ، لأنكم جعلتم هذه مؤنثة من أسماء الله وأشباه التقادير التي تناسب ما مضى ، هذا مضطرد في كل القرآن وفي اللغة أيضاً في تقدير ما بين الهمز والفاء .

مثلاً في قوله أولو كانوا لا يعقلون شيئاً أولو هناك محذوف أفأنتم هناك محذوف أفرأيتم هناك محذوف أوتقولون هذا هناك محذوف إلى آخره .

وقوله ومناة الثالثة الأخرى في قوله الأخرى وجهان من التفسير :

1ـ هل هي الأخر ومناة الثالثة الأخرى هل الأخرى بمعنى المتأخرة قدراً

2ـ أو المتأخرة في التعداد ، قولان :

1 ـ منهم من قال ومناة الثالثة الأخرى يعني بعد اللات والعزى هذه الثالثة أخرى أيضاً أخرى يعني زيادة على ما ذكر .

2ـ والقول الثاني أن الأخرى بمعنى المتأخرة وهذا الثاني هو الأرجح ومناة الثالثة الأخرى يعني المتأخرة وذلك بحسب ترتيب الآلهة عندهم لأنهم كانوا يجعلون اللات أعظم تلك الآلهة والعزى بعدها ومناة بعدها ، ثم تأتي سائر آلهة العرب التي كانوا

يجعلون عليها البيوت ويحج إليها وتقصد قال سبحانه
 ألكم الذكر وله الأنثى وهذا توبيخ وإنكار عليهم
في هذه التسمية ، وتسميتهم اللات مثل ما سمعت
من الله تأنيث والعزى من العزيز ومناة من المنَّان
وأشباه ذلك مما فيه تأنيث لأسماء الله جل وعلا ،
وهذا لأجله قال سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى
وفي قوله ألكم الذكر وله الأنثى من حيث نوع
الاستفهام نوع الهمز هنا كقوله ءإله مع الله لأن
ما بعدها مبطل لكم الذكر وله الأنثى هذا مبطل غير
محقق كقوله ءإله مع الله فالهمز فيها كالهمز
في ءإله مع الله كما مر معنا مراراً ألكم الذكر
وله الأنثى يعني حيث جعلتم فيما تختارون من
الأولاد تختارون الذكور وتجعلون لله جل وعلا الإناث
وجعلهم لله جل وعلا الإناث كان من جهتين :
الجهة الأولى : أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن إناثاً ، جعلوا الملائكة بنات لله جل وعلا .
والجهة الثانية : أنهم جعلوا الآلهة الصغيرة التي تقود
إلى أله الآلهة الذي هو الله جل وعلا ، جعلوها إناثاً
وهذا وهذا كله من اعتقاد المشركين ظاهراً ، فإنهم
جعلوا الآلهة الصغيرة إناثاً يعني في التسمية وحرفوا
الأسماء واشتقوها ، اشتقوا أسماء تلك الآلهة من
أسماء الله جل وعلا وكذلك في جعلهم الملائكة إناثاً
وجعلوها بنات لله سبحانه وتعالى قال سبحانه
ألكم الذكر وله الأنث * تلك إذاً قسمة ضيزى يعني
هذه القسمة ظالمة غير عادلة لا تقبلونها أنتم فيما
بينكم لو تاقسمتم ثم قال سبحانه إن هي إلا
أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من
سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس
وبهذه الآية مر عليها ابن كثير سريعاً ، وهذه تأخذ

منها قاعدة في التفسير في القرآن وهي أن كل موضع في القرآن جُعل فيه ذكر للشركاء وفيه ذكر للآلهة فإن السياق يبني تسميته على الظن وفي هذا الموضع واضح ذلك إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وكذلك في مواضع أخر كما في قوله أم اتخذوا كما في قوله في سورة الرعد
المقصود أن ينتبه إلى أن إضافة تسمية الآلهة إليهم أن هذا يبنى في القرآن على الظن إن هؤلاء ليسو شركاء في القرآن من أوله إلى أخره هذا لا يُعنى به ليسوا شركاء في الحقيقة وإنما هم المقصود به ليسوا شركاء في العلم ، يعني فيما يقضي به العلم إنما هم شركاء فيما عندكم من الظن ، وهذا موضع ينبه عليه لأن كثيرين من أهل التفسير يغلطون في ذلك من جهة أنهم يجعلون فيها نفي للشركة فيها نفي للإلهية أن هذا من جهة الحقيقة أما هم شركاء في الاعتقاد في اعتقاد أولئك المشركين وهذا ليس بصواب في التفسير وإنما الصواب أن يرجع الموضع الذي نفي فيه أن يكونوا شركاء أو أن يكونوا آلهة جهة العلم ، يعني أنه ليس ثم علم يُثبت كونهم شركاء وليس ثم علم يثبت كونهم آلهة ، وإنما ذلك بناءً على ظن على أولئك وهذا له نظائر كثيرة يعني نظير لهذه الآية في القرآن يمكن أن تضع بالك لها ، وتجمع النظائر في ذلك وهذا من القواعد المهمة في التوحيد وفي فهم طريقة القرآن فإن كثيرين من أهل التفسير يغلطون في هذا الموضع قال جل وعلا هنا إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان والسلطان المقصود به الحجَّة وفي

القرآن يُنوع ذكر الحجة إلى أنواع وهي متفقة في الدلالة لكنها مختلفة في القوة ، فيقال : آية وبرهان وحُجَّة وسلطان ودليل ,وأشباه ذلك فالآية أعظمها ، أعظم ما يحتج به الآيات ويليها البراهين ، ويليها الحجج ويليها السلطان أما الآية فأمثلتها كثيرة في القرآن ويليها البرهان قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملأه وأشباه ذلك والحُجَّة : وتلك حُجَّتنا آتيناها إبراهيم على قومه والسلطان كقوله وما عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون وكقوله هنا ما أنزل الله به من سلطان ، وسميت الحُجَّة والآية والبرهان سلطاناً لأجل أنها تسيطر على النفوس وتلزمها بقبولها ، ولذلك صارت قوية ، أقوى من الأدلة المعتادة أو منها يستدل به على المختلف فيه ، هذا واضح ولقد جاءهم من ربهم الهدى .

س :

ج : ليس العقيدة كل تدل على أن كل ما يُعتقد أو يُعمل به لابد فيه من حُجَّة لابد فيها من سلطان ، إذا أضيف إلى الله جل وعلا أو إلى دينه أو إلى رسله فلابد فيه من سلطان لأنه لا يكون عن طريق الهوى ولا الظن ، فالظن المقصود به هنا ، الظن في البرهان ، الظن في النسبة هذا لا يكفي فلابد من أن يكون ثم علم بهذه الأشياء لابد من علم أنها من الدين لابد من علم أنها من الرسل لابد من علم أن الله جل وعلا أنزلها وجاء بها وفي الحقيقة هذه الأشياء الله جل وعلا أنزلها إن هذه إنما جيء بها من جهة الأقيسة جيء بها من جهة الاستحسان والعرب والمشركون يعلمون ذلك ، أن آلهتهم هذه

لم ينزل الله بها من سلطان ولكن اتخذوها آلهة للتقريب ، لأنهم ليسوا بأهل لما هم عليه من الأوزار ليسوا بأهل لأن يخاطبوا الله جل وعلا أو أن يدعوه مباشرة فاتخذوها بالأقيسة ، مثل كما في قصة عمرو بن لحي في مجيئه ببعض الأوثان ونصبها في بلاد العرب ، فإذن مبناهم جميعاً على الظن ، ﴿ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن ﴾ واتباع الظن مقابل لإتباع الحُجَّة في أمور الاعتقاد به وكذلك أمور العبادات وكل أمور الشرائع مبنية على العلم ، نعم العلم قسمان :

1ـ علم يقيني 2ـ وعلم نظري .

والظن الذي يسميه الناس ظناً يعني في العقائد وغيره ، هذا يدخل في العلم النظري إذا صح الحديث به ويدخل في العلم اليقيني إذا كان متواتراً يعني متواتر الثبوت قطعي الثبوت وجهة الظن في الآية ليس المراد الظن فيها عند أهل الأصول أو أهل الكلام ما يقابل العلم ، لا المقصود بالظن هنا أنه ليس ثم حُجَّة عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بنا علمتنا يا أرحم الراحمين اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ..... أما بعد .

فقول الله جل وعلا ﴿ أم للإنسان ما تمنى ﴾ هذا عطف على ما سبق من الآيات والعطف بأم في مقام تقدير جملة محذوفة تناسب السياق ، وتارة تكون مذكورة ، وقوله هنا ﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك

إذاً قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنت وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان * إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * أم للإنسان ما تمنى ﴾ يعني ما يتمناه في أمر هداه وفي أمر ضلاله والإنسان يتمنى دائماً أن يكون مهتدياً وقد يكون مهتدياً وقد لا يكون مهتدياً بل قد يكون ضالاً ، وحقيقة الأمر إن الاهتداء باتباع ما جاء من الله جل وعلا ولهذا وقد قال قبلها ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ فحقيقة الاهتداء الذي توافق فيه الحقيقة الأمنية أن يكون متبعاً لما جاء من عند الله جل وعلا فهذا هو الذي اتبع العلم ولم يتبع الظن وقول الحق جل وعلا ﴿ أم للإنسان ما تمنى ﴾ راجع إلى ذلك المعنى وهو تمنيه الخير له إما من الهدى أو من المال أو من المغفرة أو من الغنى أو من حسن السعادة في الدنيا أو في الآخرة ، إلى غير ذلك وهذا جاء في القرآن في مواضع في ذم الأمنية ، ذم الأمنية والأماني بشكل عام إلا إذا كانت قد صدقتها الأعمال كما قال جل وعلا ﴿ ليس بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ﴾ فقوله ﴿ ليس بأمانيِّكُم ولا أمانيِّ أهل الكتاب ﴾ فيه ذم الأماني لأن الأماني في الغالب من الشيطان كما قال جل وعلا ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾ فلهذا صار التمني في الجملة مذموم والرجاء محمود لأن الأماني غالبها من تسويل الشيطان ليكون للمرء استئناس بما تمنى ويكون له ترك للعمل كما هو ظاهر وأصل كلمة أمنية من الاتباع ولهذا يقال في لفظها أُمنية بالتخفيف وأمنيَّة بالتشديد ، والتشديد أيضاً بخصوصه يقال في القراءة يقال تمنى إذا قرأ أمنيَّة يعني

قراءة كما قال جل وعلا في سورة الحج وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أُمنيَّته * فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته قال إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته يعني قراءته ، وهذا راجع إلى أصل المعنى اللغوي وهو أنها فيها الإتباع لأن القارئ يتبع وكذلك المتمني هو يتبع هواه ، ويتبع ما يلقيه الشيطان ، وتمنى بمعنى الذي يأمل الأشياء على غير حقيقتها فإذن قوله هنا أم للإنسان ما تمنى هذا من الأماني كما في قوله يعدهم ويمَّنيهم وكما في قوله في الآية التي ذكرها : ليس بأمانيكم ولا أمانيِّ أهل الكتاب ومنه أيضاً من الاشتقاق ، قيل لماء الرجل مني ، والرجل أمنى لأنه يخرج متتابعاً يتبع بعضه بعضا ، إلى غير ذلك من اشتقاق المادة الأكبر والأصغر ، والإنسان المقصود به في الآية جنس الإنسان وغالب ما جاء لفظ الإنسان في القرآن على جهة الذم ، فإذا أطلق الإنسان حيث هو لفظ يطلق مذموماً لا على صفته من جهة كونه أنسياً ولكن هذا هو الاستعمال ، وهذا كثير الشواهد في القرآن ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أُخرَجُ حيا وكما في قوله والعصر إن الإنسان لفي خسر وكما في قوله هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا وأشباه ذلك .

وقوله سبحانه وتعالى أم للإنسان ما تمنى هذا إنكار ، يعني ليس للإنسان ما تمنى ، لا يكون للإنسان ما يتمناه بل للإنسان كسبه وعمله وما قُدِّر عليه ، وهذا إنما يكون بما تصدقه من الأعمال وقول الله جل وعلا بعدها فلله الآخرة والأولى اللام هنا

في قوله ﴿ فلله ﴾ هي لام الملك يعني أن الآخرة والأولى ملك لله جل وعلا ، واللام لها عدة استعمالات منها أن تكون اللام لام ملك وتمليك كما في قوله الكتاب لي يعني أنه ملك لك ، وقد تكون اللام للإختصاص كما يقال : الورق للكتاب أوكما يقال : السرج للدابة ، والماء للسيارة وأشباه ذلك مما لا يكون فيه المضاف إليه لا للملكية ، لأن الدابة لا تصلح للتملك ، وكذلك الكتاب لا يصلح للتملك الورق ، فيقال الورق للكتاب ، يعني أن الورق مختص بالكتاب ، لأن الكتاب لا يصلح للتملك وكذلك السرج للدابة ، الدابة لا تصلح أن تكون مالكة ، فالسرج لها من جهة الاختصاص وهكذا .
والثالث من الأنواع أن تكون اللام للاستحقاق ، وضابطها أن يكون ما قبلها من المعاني ، وتضاف إلى من يستحق المعنى ، أو من يناسبه المعنى ، مثل إضافة مثلاً الصفات العلو لله ، الحمد لله رب العالمين يعني الحمد مستحق لله جل وعلا ، فهذه تنظرها في مواضعها كل بما يناسبه ففي هذه الآية ﴿ فلله الآخرة والأولى ﴾ ﴿ أم للإنسان ما تمنى * فلله الآخرة والأولى ﴾ اللام هذه هنا لام الملك يعني أن الإنسان إذا تمنى فلم يملك شيئاً ، لأن الله جل وعلا هو المالك للآخرة والأولى فإذا تمنى أن يكون مهتدياً في الدنيا سعيداً بالأخرة ، فليس له ذلك يعني أن يكون على وصف ما تمنى بل هذا لله لأنه هو الذي له الآخرة والأولى يعني بحذف الملكية من جملة المِلك أو المُلك جميعاً .
وتقديم الجار والمجرور في قوله ﴿ فلله ﴾ على المبتدأ ، الآخرة والأولى تفيد في هذا المقام الاختصاص والحصر والقصر ، بما يكون معه إبطال

لأماني المتمنِّيين ، فليس لأحد نصيب في ملك الله جل وعلا بل هو الذي يتصرف كيف يشاء ، فإذن الأماني لا وجه لها ، وإنما الذي يجب أن يعمل المرء ، وأن يجتهد ، أما الأماني فهذه خداعة ومن
الشيطان كما قال : يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا والآخرة والأولى اسمان للحياة الباقية والحياة الفانية ، فالأولى هي الحياة الفانية والآخرة هي الحياة الباقية ، وقيل فيها أولى وآخرة لأحد اعتبارين :

الاعتبار الأول : أن أنواع الحياة قسمان : 1ـ دنيا 2ـ وأخرى ، والدنيا هي الأولى والأخرى هي الآخرة فتكون آخرة باعتبار أن ثم قبلها أولى .

الاعتبار الثاني : أن أنواع الحياة ثلاث : 1ـ أولى
2ـ متوسطة وهي البرزخ
3ـ وآخرة وهي الباقية وهذا التقسيم هو الأولى هنا وفي مواضعه لأن الأولى يقتضي أن ثم ثانية ، لأجل التقسيم فقوله فلله الآخرة يعني فلله الحياة الآخرة وله الحياة الأولى التي هي مدار العمل ، وله الحياة الآخرة التي هي دار الجزاء ، وما بينهما التي هي دار البرزخ ، أيضاً هي لله جل وعلا ، لكن الجزاء الأعظم في الدار الآخرة وكونها آخرة لأنها جاءت متأخرة أو تجيء متأخرة وتقديم الآخرة على الأولى لأنها محل طمع الطامعين في شفاعة الآلهة .

لأنه قال قبلها أفرأيتم اللات والعزى وتعلق المشركين بآلهتهم لأجل الآخرة وقدمها لما في قلوبهم من ذلك في هذا الموضع في هذا الموطن بخصوصه ، ولهذا جاء بعدها قوله وكم من ملك في السماوات والأرض الآية ، قوله وكم من ملك

 هذا للتكثير ، التكثير باعتبار العبادة عبادة العابدين ، لأن المشركين لم يعبدوا جميع الملائكة ، وإنما عبدوا كثير من الملائكة وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً لا يُفهم منه أن ثم ملائكة تغني شفاعتهم شيئاً ، التكثير هنا باعتبار عبادة من عبد وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً يعني الملائكة الذين عُبدوا وهم كثير فقال وكم من ملك الآية وملك هذه مخففة من ملأك ، من أجل كثرة الاستعمال وأصل ملأك مألك لكنها مقلوبة ، وهذه مشتقة من الألوكة التي هي الرسالة ، لأن اصل المادة هذه هلك يهلك هلوكة ، إذا أرسل كما قال الشاعر :

ألكني إليها يعني أرسلني   وخير الرسول
أعلمهم بنواحي الخبر

فإذن مادة الملك مأخوذة من الألوكة وهي الرسالة ، والملائكة مرسلون يرسلهم الله جل وعلا لما شاء من الأوامر ، فيوكلهم سبحانه وتعالى بما يشاء أن يوكلهم به من أمر الملكوت ن منهم من وكله بالموت ومنهم من وكله بالقطر ومنهم من وكله بكذا وكذا إلى ما هو معروف ومنهم الملائكة في الاعتقاد ، المقصود من هذا أن لفظ المَلَك يشعر بإبطال عبادته ، لأن الملك مرسل والعابد حتى من جهة اللفظ إذا انتبهت فإنه يجب عليه أن يعبد المُرسِل لا المُرسَل فاللغة دلت لما سمي الملائكة ملائكة والمَلَك مَلَك على أن هذا مرسل ، وفي هذا إبطال لما يشترك معه الملك في المعنى من البشر وهم الرسل فإن الرسل أيضاً لا تغني شفاعتهم شيئاً لأنهم مرسلون والملائكة مرسلون فإذن دلنا هذا البحث اللغوي والعقدي على أن الآية فيها إبطال

لطلب شفاعة الملائكة وأنها لم تغني شيئاً لأنهم مرسلون عُبَّاد وليسوا بمعبودين وبمفهومها اللغوي دلت على أن الأنبياء والرسل أيضاً لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، والله سبحانه وتعالى لا يرضى بذلك شرعاً ولا يأذن به شرعاً .

يعني أن تقع شفاعة من الرسل أو من الملائكة للناس ، فلم يأذن الله جل وعلا لملكاً أن يشفع لمشرك به وكذلك لم يأذن الله جل وعلا كوناً ولا شرعاً لرسول أن يشفع بعد موته لمن يشرك به ، وإنما ياذن سبحانه وتعالى في الحياة قدراً وشرعاً ، يعني كوناً وشرعاً للرسل بأن يدعو لأقوام قد يستجيب وقد يرد دعوتهم ، ويأذن أيضاً في الآخرة بعد السؤال والدعاء إلى آخر ما هو معروف

المقصود من هذا ، الانتباه إلى الارتباط في القرآن ما بين الألفاظ اللغوية والمباحث العقدية ، وهذا تضع بالك له لأنه يفيدك جداً في فهم كيف أقيمت الحُجَّة على المشركين بالألفاظ اللغوية وإبطال ما يعتقدون بهم من جهة التنبيه على اللفظ مثل ما في قوله مثلاً ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ وما يتبع هذه أين ؟ في سورة يونس ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴾ يعني إيش يتبعون ؟ وما يتبعون ، ما يتبع هؤلاء ، هل هم يتبعون علماً ؟ أم يتبعون جهلاً وظناً ؟ قال ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾ وهذا توجيه إلى برهان لغوي وعقلي في رد الاعتقاد الباطل وبهذا نقول : رد الاعتقادات الباطلة ينبني على ، يعني في القرآن على أشياء منها المباحث اللغوية واللفظية ومنها المباحث العقلية ،

والله جل وعلا أبطل عبادة المعبودات ، وأبطل رد النبوات وأبطل رد البعث بدلائل لغوية ودلائل عقلية بالإضافة إلى أنواع الدلائل الأخرى وهذه مهمة فيما أحسب إذا وضعت قلبك عندها وانتبهت ستخرج منها بفوائد كثيرة ، في التفسير وفي الحِجاج مع المبطلين ، قوله جل وعلا لا تغني شفاعتهم شيئاً وهذا فيه العموم يعني شيئاً نكرة جاءت في سياق النفي فتعم جميع الأشياء ، وقوله إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى فيه البحث اللي مر معنا في كشف الشبهات وفي العقيدة الواسطية مفصلاً في مسألة الشفاعة وتحقيقه أن الشفاعة نوعان : هذا على الاختصار وتطويلها في موضعه :

1 ـ شفاعة شركية : وهي التي يطلبها المشركون من آلهتهم إما مباشرة في طلب الشفاعة ، اشفعوا لنا ، وإما بالعبادة لأجل الشفاعة ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله عبدوا لأجل الشفاعة أو طلبوا الشفاعة مباشرة أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً .

2 ـ الشفاعة الشرعية : وهي الشفاعة المثبتة وهذه لابد لها من شرطين :

الأول : الإذن .

والثاني : الرضا .

إذن الله للشفيع أن يشفع ، والرضا عن الشفيع وعن المشفوع له والأذن نوعان :

1ـ إذن كوني 2 ـ إذن شرعي

والرضا يكون عن الشافع وعن المشفوع له وقد يكون الشافع مرضي ولكن المشفوع له غير مرضي

فلا يأذن بالشفاعة ، وقد يكون الشافع غير مرضي والمشفوع له مرضي فلا يؤذن له بالشفاعة كما قال جل وعلا في سورة الزخرف في آخـرها قال : ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ وتفاصيلها مذكورة في موضعها نكتفي بهذا .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً ودعاءاً مسموعاً نعوذ بك اللهم أن نزل أو نُزل ، أو نضل أو نُضل أو نظلم أو نُظلم أو نَجهل أو يُجهل أما بعد ......ـ علينا فهذه السورة سورة النجم مشتملة على تقرير توحيد الله جل وعلا وذكر صفاته سبحانه ، والرد على المشركين فيما ادعوه في صفات الله أو في توحيده ، وكذلك فيها تقرير الرسالة وتقرير البعث وأصول الدين ، وفي هذه الآيات قال جل وعلا ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليُسمَّون الملائكة تسمية الأنثى ﴾ في قوله سبحانه ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمَّون الملائكة تسمية الأنثى ﴾ فيها إنكار على أولئك وتأكيد لهذا الخبر بأن واللام ، ومن المتقرر في علوم البلاغة أن تأكيد الكلام بإن واللام

إنما يكون في حق من هو منكر له أو مُنَزَّلٌ منزلة المُنكر فيقول القائل : محمدٌ قادمٌ لمن ليس عنده علم بالخبر أصلاً أما إذا كان المُخبر عنده إنكار لذلك ، أو ينزل منزلة المنكر لغرض انتباهه أو لأن دلائل الحال تدل على أنه يميل إلى الإنكار ، فإن الكلام يؤكد باللام فيقال : لمحمدٌ قادمٌ ثم يزاد التأكيد بإن واللام جميعاً فيقال إن محمداً لقادم فإذن لا يناسب أن يقال لمن هو خال عن الخبر : إن محمداً قادم أو لقادم بالتأكيد وإنما يقال لغرض من أغراض البلاغة وهو تنزيل المستمع أو المتلقي للخبر منزلة المنكر أو من هو منكر أو مكذب في نفس الأمر ، وهذا هو الواقع في هؤلاء المشركين الذين سمّوا الملائكة تسمية الأنثى والذين لا يؤمنون بالآخرة فإنهم منكرون أن الملائكة خلق من خلق الله ، وأن الله خلقهم من نور ، وأنهم ليسوا ببنات الله سبحانه ن والمشركون ادعوا في الملائكة ثلاثة أشياء :

1ـ ادعوا أن الملك أنثى وأن الملائكة أنثى كما قال سبحانه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم * ستكتب شهادتهم ويُسألون

2ـ والثاني أنهم جعلوهم بنات لله جل وعلا كما قال سبحانه أصطفى البنات على البنين

3ـ والثالث : أنهم عبدوا الملائكة واتخذوهم وسائط تقربهم إلى الله جل وعلا كما قال سبحانه ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون .

فإذن هؤلاء ادعوا هذه الدعاوى الثلاث ، أن الملائكة إناث وأنها بنات الله ، وأنها تدعى وتسأل وتتخذ أولياء وهم ينكرون أنهم نزلوها هذه المنزلة ، ولهذ

أنكر عليهم أنهم يأبون أن تكون لهم الإناث ويجعلون لله جل وعلا البنات سبحانه قال سبحانه هنا ﴿ أن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمَّون الملائكة تسمية الأنثى ﴾ والآخرة سميت آخرة لأن الدنيا والآخرة شيئان ، أحدهما أولى والثانية أُخرى ، وهما في التمثيل يومان ، يوم أول ويوم آخر ، ولهذا قيل في الآخرة اليوم الآخر صار من أركان الإيمان اليوم الآخر ، ويكون اليوم الأول هو يوم الدنيا فثم يومان يوم أول ويوم آخر ، أو أولى وأخرى كما هو مثبوت في نصوص كثيرة وقوله ﴿الملائكة ﴾ الملائكة جمع ملائك ، وملائك أصلها مقلوب عن مألك ، لأنها مأخوذة من الألوكة وهي الرسالة فأصلها ألك يألك أُلوكة يعني أرسل يرسل رسالة خاصة ، والعرب إذا أرسلت رسالة خاصة مع من هو معظم قيل لذلك ألوكة كما قال الشاعر :

ألكني أليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر

فجمع بين كونه قال ألكني ، وكونه رسولاً ، ألكني أليها وخير الرسول فدل هذا على أن اصل مادة ملائكة في لغة العرب تدل على الإرسال وهذا يضاد أصل اعتقاد المشركين فيها في تلك الثلاث التي ذكرنا فهم إذن نقضوا أنفسهم بلغتهم وأبطلوا اعتقادهم بلغتهم لأنهم إذ سموها الملائكة ، فإنه لا يصلح أن تكون بنات لله ولا يصلح أن تكون معبودات لأنها مرسلة ، فالعرب سمت هذه يعني في اللغة بما جاء من ميراث الرسالات ، سميت ملائكة لهذا الغرض ، ولهذا ففي التسمية إبطال لكونها بنات لله جل وعلا وفي التسمية إبطال لكونها تُعبد من دون الله أو مع الله لأنها مرسلة فملائكة يعني أنهم

مرسلون كما قال سبحانه الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس فالملائكة رسل يصطفي الله جل وعلا منهم أهل رسالة خاصة للوحي أو لإنزال الغيث أو نحو ذلك وكل الملائكة يقومون بأعمال توكل إليهم من رب العالمين ، كما قال سبحانه قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم والآيات في هذا المعنى كثيرة قال سبحانه ليسمَّون الملائكة تسمية الأنثى وذلك لأنهم جعلوها بنات لله سبحانه قال وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظنَّ وإن الظنَّ لا يغني من الحق شيئاً قوله وما لهم به من علم الأشياء أوالحقائق تنقسم إلى ثلاثة أشياء ، يعني رؤية الحقائق أو سبر الأشياء سبر الحقائق سبر القضايا ، النتيجة الحكم عليها على ثلاثة أقسام :

الأول : علم والثاني : ظن

والثالث: كذب .

والظنَّ هذا يعمَّ ما كان مستوى الطرفين وما كان أحد الطرفين فيه أرجح من الآخر فيشمل ما جعله الأصوليون ثلاثة أقسام وهي (الظن ـ والشك ـ والوهم) ولكن في اللغة ثم ثلاثة أشياء (علم ـ وظن ـ وكذب) والعلم ما قام الدليل عليه إما بدليل حسي ضروري بأحد الحواس وإما بدليل برهاني ، إما باستقراء أو ببرهان ودليل على أنواع الأدلة هذا هو العلم ، والظن هو ما لم يقم دليل عليه لكن الذي يذهب إلى ذلك القول هو يميل إليه ولا دليل عليه هذا من جهة اللغة ولا تعارض هذا بما عند الأصوليين من كلام خاص في الاصطلاح فيما تأخر من الزمان والكذب عند أهل اللغة هو مخالفة الخبر للواقع سواءاً أكان متعمداً أو مجرد إخبار بمخالفة

الواقع فإذن الله جل وعلا بين لنا في هذه الآية أن أولئك المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى أنهم ليس لهم بذلك علم وإنما يتبعون الظن ، والظنَّ لا يغني من الحق شيئاً كما قال هنا : وإن الظنَّ لا يغني من الحق شيئاً فإذن هذه الآية دلت على أن الواجب على كل من يذهب إلى شيء أن يذهب إليه عن علم لا عن استحسان وهوى مجرد بلا دليل يُعتمد عليه بل بين سبحانه أن الظن لا يُغني من الحق شيئاً ، بل جعل النبي عليه الصلاة والسلام الظنَّ أكذب الحديث فقال عليه الصلاة والسلام (إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذب الحديث) وقوله هنا وما لهم به من علم مجيء من في النفي أفاد استغراق أو التنصيص على العموم في أنواع العلوم ، فليس لهم من علم بذلك لا من جهة الرسل هذا نوع من العلوم ، ولا من جهة الرؤية حيث أنهم رأوا الملائكة ولا من جهة الدليل البرهاني فكل أنواع العلوم ليس لهم بها ، يعني بتسمية الملائكة تسمية الأنثى ليس لهم بذلك من دليل لهذا قال سبحانه هنا : وما لهم به من علم وقدم لهم مع أن حقها التأخير ، لأن التنصيص على العموم بمجيء من الزائدة قبل النكرة يُقدم قبله خبر ما أو ما يتعلق بخبر ما .

قال سبحانه إن يتبعون إلا الظنَّ وإن وإلا هذه للحصر والإتباع إن يتبعون إلا الظنَّ الإتباع هو السير وراء الشيء تبعه يعني سار وراءه مقتضياً أثره ولهذا جاء الأمر باتباع الرسل عليهم صلوات الله وسلامه فاتبعوني قل إن كنتم تحبون الله ورسوله فاتبعوني يحببكم الله ونحو ذلك من الآيات يعني اقتفوا هذا الأثر امشوا وراءه مقتفين

أثره قال إن يتبعون إلا الظنَّ فكأنهم يريدون الظن ويبحثون عنه ولا يبحثون عن العلم أصلاً فهم يقتفون أثر الظن فكأن الظن مقصود لهم فيما يريدون فلهذا عبر بيتبعون الذي يفيد أنهم يبحثون وراء هذا الظن وفي هذا تبكيت لهم وفيه إزراء عليهم وابعاد لهم عن العلم لأن الظن لا يُتبع بل الذي يتبع العلم ، الذي يُبحث عنه العلم فهؤلاء يبحثون عن الظن وهذا جار على كل معتقداتهم وفي القرآن كثير من الآيات فيها ذكر اعتماد المشركين والكفار على الظنون وليس ثم اعتماد عندهم على العلم وما جاء في بعض الآيات من وصفهم بالعلم أو مجادلتهم بالعلم فالمقصود منه ما هو بحسب نظرهم بحسب اعتقادهم أنهم يريدون العلم وهم إنما هم في الواقع إنما يتبعون الظن قال سبحانه في قوله إن يتبعون إلا الظنَّ فيه حصر لأن إن هذه النافية وإلا تفيد الحصر والحصر له أنواع ومقتضيات في علم المعاني من علوم البلاغة معروفة في موضعها قال وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً وهذا تقرير وتأكيد لهذا الأمر العظيم وهو النهي عن اتباع الظنَّ فقال : وإن الظنَّ لا يغني من الحق شيئاً الظنَّ لا يفيد في الحق والحق دليله العلم والدليل ، العلم الناشئ عن دليل واضح بيِّن يدل على المراد .

قال سبحانه فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا أعرض هذا أمر بترك ومجانبة وهجر من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا وأصل كلمة أعرض هو أن يعطي المرء الآخر عُرضه بفهم العين وهو جانبه كما تقول العرب إرم بهذا الكلام عُرض الحائط بضم العين يعني جانب الحائط

، فأعرض مأخوذ من العُرض لأن من ترك كلاماً أو ترك متكلماً فإنه يعطيه جانبه وفي هذا أيضاً أدبٌ وهو أن التارك أو المنكر فإنه يعرض عنه وفيه الترك بشيء من الأدب فقال سبحانه هنا : ﴿ فأعرض ﴾ وهذا أمر وهو أمر إيجاب ﴿ أعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ وهؤلاء الذين هذه صفتهم وهو أنهم لم يريدوا إلا الحياة الدنيا وأعرضوا عن الذكر لا تنشغل بهم ولا تطلب زكاتهم ولا تطلب إيمانهم فإن هؤلاء مضى فيهم قدر الله ومضت فيهم كلمة الله جل وعلا ، كما قال سبحانه ﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا ...ـ ﴾ إلى آخر الآيات

فقوله سبحانه هنا ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ﴾ فيه تنبيه للرسل للنبي عليه الصلاة والسلام ولجميع من يدعون بدعوة الرسل أنهم لا يعتنون بمن أعرض عن ذكر الله ، وأراد الحياة الدنيا ، بل يصبرون أنفسهم مع الذين يبتغون وجه الله جل وعلا كما قال سبحانه ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعدوا عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا * ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ فدلت الآية على أن الدعاة إلى دين الله أتباع الرسل لا ينبغي لهم أن يتتبعوا المعرضين عن ذكر الله الذين لا يريدون إلا الحياة الدنيا ، وأن يهتموا بمن يقبلوا رسالة الله جل وعلا من يقبل الإيمان لأن أولئك أطهر قلوباً بل لأن هؤلاء أطهر قلوباً وألين في استماع الحق لأنهم لم يعرضوا ولم يريدوا الحياة الدنيا بل أرادوا الخير والحق قال سبحانه ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا

ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
يعني إن هؤلاء الذين أرادوا الحياة الدنيا وتولوا عن الذكر مبلغهم من العلم ، الحياة الدنيا مبلغهم من العلم الظنَّ فقوله ذلك هذا راجع إلى الظنَّ أو راجع إلى أقرب شيء وهو الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وهذا يعني أن حكم الله جل وعلا هو الذي يجب أن يؤخذ لأن الله سبحانه أعلم بالضال وأعلم بالمهتدي .

بسم الله الرحمن الرحيم

 ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم * إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض و إذ أنتم أجنّة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . الملك الحق الكريم وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا ....ـ أما بعد .

ففي قول الله جل وعلا ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم * إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنّة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى هذه الآية بل هذه الآيات فيها مسائل عظيمة بينها

الله جل وعلا لعباده لشدة حاجتهم إليها . فيها بيان الحكمة من خلق السماوات . وفيها بيان عظم رحمة الله جل وعلا الذين وحدوه وأخبتوا له وعبدوه وحده لا شريك له . وتبرؤا من الشرك وأهله وفيها أن الله جل وعلا هو الذي يزكى عباده . وأن العباد صفتهم المعصية والغفلة والظلم والجهل . فلا ينبغي أن يزكوا أنفسهم بل الله جل وعلا يزكى من يشاء . هو سبحانه أعلم بمن اتقى . وهذه الآيات في هذه السورة يظهر أن مناسبتها جهل المشركين بالحكمة من خلق السماوات والأرض حيث ظنوا أن السماوات والأرض ليس في خلقها حكمة . فضلاً عن أن يعلموا أن هذه الحكمة هي مجازاة المسيئين من المشركين وأشباههم . وجزاء المحسنين بالمغفرة للذنوب ودخول الجنة . والسورة كما سمعتم فيما قبل ذلك مشتملة على تقرير المطالب العظيمة . تقرير التوحيد . وتقرير الرسالة ورد الشرك وبيان ما عليه المشركون من الزيغ العظيم في دين الله وغفلتهم عن حكم الله جل وعلا في خلقه في قوله سبحانه : ﴿ ولله ما في السماوات وما في الأرض ﴾ اللام هذه هي لام الملك , يعنى أن الله سبحانه يملك ما في السماوات وما في الأرض . وقد ذكرت لكم من قبل أن اللام في القرآن تأتي على أنحاء أهمها ثلاثة .

1 : ـ وهى لام الملك 2 : ـ ولام الاختصاص 3 : ـ ولام الاستحقاق أما لام الملك فهي أن يكون الشيء الذي قبلها لفظاً أو تقديراً يناسب أن يكون مملوكاً كما في هذه الآية وأصلها في اللغة أن يقول القائل مثلاً هذا الكتاب لي . يعنى أنه يملكه لأنه يصلح الكتاب أن يُتملك .

والنوع الثاني : لام الاختصاص . كقول القائل يعنى في اللغة السرج للدابة وأشباه ذلك لأن الدابة لا تصلح أن تمتلك . ولا يصلح السرج أن يكون ملكاً لها فتكون إذاً مختصة به ويكون السرج مختصاً بهذه الدابة والاختصاص له أغراض تراجعونها في كتب اللغة .

النوع الثالث : لام الاستحقاق ، وضابطها الغالب أن يكون ما قبلها من المعاني العامة التي يستحقها ما بعدها كقوله جل وعلا الحمد لله رب العالمين فالحمد معنى وإضافته إلى الله جل وعلا باللام هي إضافة استحقاق يعنى كل أنواع المحامد مستحقه لله جل وعلا . أو كل أنواع المحامد وأجناسها استحقاق الله جل وعلا .

إذا تبين لك ذلك فقوله هنا ولله ما في السماوات وما في والأرض يعنى أنه سبحانه يملك ما في السماوات وما في الأرض و((ما)) في الموضعين هذه تفيد العموم . يعنى الذي في السماوات كله والذي في الأرض كله وأيضاً ما بينهما هو ملك لله جل وعلا . وإذا كان ملكاً لله سبحانه فإنه يتصرف فيه كيف يشاء أولاً ثم هو سبحانه يخلق الأشياء لحكمة عظمة .

السماوات جمع سماء وهى في اللغة لما علا وارتفع . فيقال لكل ما أظل سماء لأجل علوه وارتفاعه . ولهذا سمى السحاب سماءاً وسمى المطر سماءاً وسميت القبة الزرقاء فوق الأرض سماء وسميت السماوات سماوات لأجل علوها وارتفاعها . وفي القرآن جاءت السماوات مجموعة وجاءت مفردة السماء فإذا جُمعت فالمعنى بها سبع سماوات المعروفة ولا يعنى بها العلو . وإنما السماوات هي

السماوات السبع المعروفة في القرآن وإذا أفردت وأتي بلفظ السماء فإنه قد يراد منها جنس السماوات أو واحدة السماوات . إما الجنس يعنى الجميع أو واحدة السماء الدنيا أو أحد السماوات السبع . وإما أن يراد مها العلو . أما الأول فظاهر وأما الأخير فكما في قوله تعالى ﴿ ألم ترى كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ يعنى في العلو .
وكقوله جل وعلا ﴿ ء أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء ﴾ يعنى من العلو .
وفي الآية الأخيرة يحتمل أن يكون المراد بالسماء جنس السماوات فتكون في بمعنى على .
قوله ﴿ ما في السماوات ﴾ الأكثر أن في السماوات المراد بها في الظرفية وقد تأتي في السماوات بمعنى على السماوات . فتكون في بمعنى على .
وقد تحتمل المعنيين كما في قوله تعالى ﴿ وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ ﴿ وهو الله في السماوات ﴾ يعنى على السماوات كما هو عقيدة السلف الصالح المبنية على الدليل من الكتاب والسنة .
قوله سبحانه ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴾ اللام هذه التي تكون قبل الفعل غير اللام التي سبق الكلام عليها . تلك اللام تكون قبل الأسماء اللام الملك والاختصاص والاستحقاق تكون قبل الاسم .
أما قبل الفعل فاللام لها أغراض كثيرة منها لام التعليل . أو لام كي كما يسميها بعضهم يعنى بعض النحاة . ليجزي . يعنى العلة من كون السماوات والأرض يملكها الرحمن جل وعلا . العلة من الإخبار

بذلك . العلة من لازم هذا الخلق وهو أنه سبحانه خلقها لحكمة بالغة عظيمة . لماذا خلق ولماذا أخبر بملكه لذلك وما يلزم عنه وما ينشأ عنه قال : العلة أن يجزي الذين أساءوا بما عملوا . ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . والجزاء هو إعطاء نتيجة العمل . المجازاة مقابلة العمل بحاصله ونتيجته وهو أن يجزي من عمل خيراً بالخير وأن يجزي من عمل شراً بالشر فيجزي تصدُق على الحسنات وعلى السيئات ولهذا قال هنا ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا * ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ بخلاف يُجازى فإنه يجازى مختصة بالكافر كما قال سبحانه في سورة سبأ ﴿ وهل نجازي إلا الكفور ﴾ قوله : ﴿ الذين أساءوا ﴾ ﴿ والذين أحسنوا ﴾ أساءوا وأحسنوا كلمتان متقابلتان من السيئة في أساءوا ، ومن الحسنة في أحسنوا ، فالذين أساءوا هم الذين جاءوا بالسيئة ، والذين أحسنوا هم الذين جاءوا بالحسنة ، والسيئة والحسنة لها اشتقاق في اللغة ومعان في القرآن لعلنا نذكرها في موضع آخر لأجل كثرة البحوث في هذه الآيات قال ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴾ والباء هنا في قوله ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴾ هي باء المقابلة والعِوض . لأن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئا ، وأما الباء الثانية في قوله ﴿ ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ فهي باء التفضل والإكرام . باء السبب يجزي الذين أحسنوا بالحسنى . تفضلاً منه إكراماً لا معاوضة لأن العبد لو نوقش الحساب هلك ، والحسنى جاءت في القرآن بعدة معان منها أن المراد بالحسنى جنس ما يحسن من الخيرات وينفي المضار والمكروهات وجاءت بمعنى الجنة كما في قوله ﴿ إن لي عنده

للحسنى وأشباه ذلك وكما في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولها مزيد معنى يأتي في موضعه إن شاء الله .
قال سبحانه الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وهذا وصف للذين أحسنوا فكأن قائلاً قال : من هم الذين أحسنوا ؟ ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى من هم الذين احسنوا ؟ فقال الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وكقاعدة في التفسير أنه يكثر الإتيان بلفظ الذين كتعريف لما قبله أو وصف أو جواب سؤال وإذا كان كذلك فإن الذين ما مع بعدها تكون تفسيراً لما قبلها تكون أصح التفاسير أن يكون ما بعدها تفسيرا لما قبلها كما في قوله مثلاً والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل فمن هم أهل الاختيال ، الفخر ، مختال فخور قال الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وهكذا في أمثاله .
هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة سمعت ما فيها من كلام السلف في التفسير وما جاء فيها من الحديث والآثار . والآية اشتملت على أن الذنوب منقسمة إلى كبائر وإلى صغائر ، وهذا هو الصحيح عند المحققين من أهل العلم ، وعند جماهير علماء الأمة ، والناس في انقسام الذنوب لهم مذاهب .
الأول : أن الذنوب كلها كبائر وليس ثم ذنب صغير ، وإنما هناك كبير وأكبر ، والذين قالوا بهذا القول نظروا إلى أن المعصية الذين إذا نُظر فيها إلى من عُصى فإنها كبيرة ، لأن الله جل وعلا يستحق الطاعة ولا يسوغ لأحد أن يعصيه فمن عصاه فقد أتى كبيراً من الفعل أو من القول .

والقول الثاني : أن الذنوب بالنسبة للموحِّد صغائر في جنب التوحيد ، فحسنة التوحيد أعظم الحسنات ، وسيئة الشرك أكبر السيئات والموحّد تغفر له الكبيرة بمعنى أنه يخرج من النار فإذن عندهم أن الكبائر في حق غير الموحَّد . وأما الموحد فلا كبيرة في حقه مآلاً ، وهذا القول ظاهر أن القرآن يرده والله جل وعلا بين أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وإلى ما دون ذلك .

والقول الأول أيضاً غلط لأن القرآن أيضاً والسنة تردانه .

والقول الثالث : وهو الصحيح أن الذنوب منقسمة إلى كبائر وإلى صغائر ، والدليل على انقسامها أشياء .

الأول : أن الله جل وعلا قال إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ونُدخلكم مدخلاً كريما فشرط لتكفير السيئات اجتناب الكبائر في سورة النساء . فدل على أن الشرط يخالف المشروط ، فدل على أن السيئات غير الكبائر ، وإذا كانت غيرها فهي إذن صغائر فانقسم إذن بآية النساء إلى كبائر وإلى سيئات صغائر .

الثاني : قوله جل وعلا في هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم قوله هنا إلا اللمم استثناء من الإثم لا استثناء من الكبائر كما سيأتي تحقيقه وفي مفهوم قوله كبائر في هذه الآية دليل على أن ثم صغائر لأنها وصف ومفهوم المخالفة يكون مفهوم صفة كما هو مقرر في موضعه في الأصول .

إذا تبين ذلك وهذا القول هو الصحيح ، فإن هذا دل عليه أدلة كثيرة من السنة أيضاً كقوله عليه الصلاة

والسلام ((الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينهما إذا أُجتنبت الكبائر ورمضان إلى رمضان مكفر لما بينهما إذا أُجتنبت الكبائر)) ونحو ذلك من الأحاديث . هذه الآية قوله الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إذا تقرر ما ذكرنا من انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر ، فأهل العلم اختلفوا في حد الكبيرة ، يعنى ممن قال بهذا القول . اختلفوا في حد الكبيرة ، ما هي الكبيرة . . فكانت لهم أقوال تراجعونها في موضعها لكن الصحيح منها هو أن الكبيرة ما كان فيه توعد بحد في الدنيا أو بعذاب في النار يوم القيامة . أو جاء معه لعن لفاعله وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك أن ينفى عنه الإيمان . لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه . ونحو ذلك وزاد غيره نفي . بل هو وغيره بنفي الإيمان وقوله ليس منا بنفيه عن جماعة المؤمنين ، وقد نظمها ابن عبد القوى ألفيته في الآداب بقوله في ضابط الكبيرة .

فما فيه حدٌ في الدنا أو توعد بأخرى فسم كبرى على نص أحمد

وزاد حفيد المجد ...... يعنى شيخ الإسلام

وزاد حفيد المجد أوجى وعيده بنفـيٍ لإيمانٍ ولعنٍ لمُبعَد

وهذا هو الصحيح في أن الكبيرة تحد بما فيه حد في الدنيا أو عذاب بالنار في الآخرة أو نفى للإيمان أو لعن لفاعل تلك المعصية .

المسألة الثانية : أن العلماء درجوا على ذكر قول بعض السلف : أنه لا صغيرة مع إصرار ، كما أنه لا كبيرة مع استغفار ، وأن الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة وهذا الحد فيه نظر من جهة الدليل

لأن الأدلة دلت على العبد إذا عاود الذنب فإنه يُغفر له ولكن لو صار كبيرة فإن مغفرته إنما تكون بالتوبة . الأدلة جاءت على أن الصلاة تكفر ، وعلى أن الوضوء يكفر ، وعلى أن العمرة تكفر ، وعلى أن الحج يكفر وهكذا . وهذا يدل على أن فعل الصغائر لا يصيرها كبيرة .

قال بعض العلماء : إن مأخذ من قال ذلك من السلف إذا صاحب فعل الصغيرة والمداومة عليها استهانة بها وعدم طمع في المغفرة ولا مبالاة بالسيئة ، وإذا كان كذلك فهذا متجه فتكون الكبيرة في مجموع أمرين في الإصرار وعدم المبالاة بها في الإصرار على الصغائر وعدم المبالاة بها ، أما لو كان مصراً ويستغفر فإنه لا يحسُن أن تدخل في حد الكبيرة قوله جل وعلا كبائر الإثم والفواحش الواو هذه للمغايرة فإن الآثام الكبيرة منها ما هو فاحشة من حيث الوصف ، يفحش عند الجميع من ذوي الفِطر مثل الزنا والسرقة والقذف وأشباه ذلك يَفحُش على النفوس السليمة ذلك ، ومنها ما هو كبيرة وقد لا يفحش مثل شرب الخمر والتولي يوم الزحف وأشباه ذلك فإن الكبائر من جهة الوصف عند أهل الإيمان كلها فاحشة وكلها فواحش لكن من جهة فعل الناس لها فإن منها ما يُعد فاحشة ومنه ما هو كبيرة ولا يظهر عند العامة أنه فاحش من الفعل ولذلك عطف بالواو المقتضية للمغايرة بقوله كبائر الإثم والفواحش

قوله سبحانه إلا اللمم الاستثناء هنا كما سمعت في كلام الحافظ بن كثير له تفسيران إما أن يكون استثناء منقطعاً ، وإما أن يكون استثناءً متصلاً فمن قال أنه متصل جعل اللمم هو فعل الكبيرة كما

سمعت في تفسير السلف . قال ونسب للصحابة قال هو الرجل يزنى ثم يعود ، يسرق ثم يعود ، يشرب الخمر ثم يعود وهذا مصير منهم إلى أن كلمة إلا هذا استثناء متصل يعنى أن اللمم داخل في الكبائر لكنه زاد عليها بوصف القود والرجعة والتوبة فيكون الملم هو من فعل كبيرة ولم يقم عليها بل استغفر وعاد .
والقول الثاني : أن الاستثناء هنا منقطع يعنى بمعنى لكن فتكون الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش لكن اللمم يعنى لكن من فعل اللمم . إن ربك واسع المغفرة ، وهذا القول أظهر وهو أن اللمم لا تدخل في الكبائر ، بل هي الصغائر كما ذكر في أول التفسير وقدمه ابن كثير وهو الراجح عند أهل العلم أن اللمم ليست هي الكبائر بل اللمم هو ما لا يخلوا أن يُلمَّ به المرء في يومه وليلته من نظرة أو من نوع سوء ظن ، أو أشباه ذلك مما فيه معصية والعبد المؤمن لا شك يرى أنه مخاطب في كل حال ، بأمر ونهى ، فإن خالف الأمر فقد ألم بشيء و إن أتى النهي فقد ألمَّ بشيء فكلما ازداد علم العبد ازداد خوفه وازدادت معرفته وعلمه بأنه بأشد حاجة للاستغفار ولمغفرة الله جل وعلا وتوبته على عبده إذن فالصحيح أن اللمم : اسم لما يلمَّ به المرء في يومه وليلته من مخالفة لأمر أو ارتكاب لنهي مما لا يدخل في حد الكبيرة ، ولهذا قال تعالى إن ربك واسع المغفرة وقوله سبحانه واسع المغفرة في ذكر اللمم سبب ذكر السعة هنا واسع المغفرة مع أن الذي يتبادر أن سعة المغفرة تكون لذكر الكبائر ، لأن الكبيرة هي العظيمة فتكون مغفرتها واسعة لعظمها ، لكن ذكر سعة المغفرة بعد اللمم

إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة وذلك لكثرة وسعة أسباب اغتفار الصغائر في هذه الشريعة فقال إن ربك واسع المغفرة واسع المغفرة للصغائر بأي شيء ؟ بإقامته جل وعلا الأسباب الكثيرة في تكفير الصغائر ، وقد ذكرت لكم من قبل أن تكفير السيئات الصغائر له شروط ، وأول شروطه : أن تجتنب الكبيرة كما قال جل وعلا إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما والشرط الثاني : أن يأتي بمكفر مما جاء في الشريعة أنه يُكفر مثل الوضوء للصلاة للصيام وقيام ليلة القدر ، قيام رمضان ، للعمرة والحج وأشباه ذلك مما جاء في الشريعة صلاة ركعتين بعد الذنب وأشباه ذلك ولكن هذه الأشياء كلها جاءت مشروطة أيضاً فهو شرط فثمَّ شرط في داخل الشرط وذلك أنه ليست كل صلاة تُكفر وليس كل وضوء يُكفِّر وليس كل صيام يُكفِّر وليس كل قيام يُكفِّر وليست كل عمرة تُكفِّر وهكذا فالأدلة من السنة التي جاء فيها ذكر التكفير للصغائر بهذه الأسباب جاءت مشروطة ، ففي الوضوء قال عليه الصلاة والسلام من توضأ كما أمره الله فجاء شرط كما أمره الله بعد الوضوء وقال في الصلاة (من صلى الصلاة فأكمل ركوعها وسجودها وخشوعها وفي لفظ من صلى الصلوات الخمس فأتم ركوعها وسجودها وخشوعها كانت له كفارة فيما بينه وبين الصلاة الأخرى ما اجتنبت الكبائر) رواه مسلم في الصحيح .

فشرط إتمام الركوع والسجود والخشوع وقال عليه الصلاة والسلام في صيام رمضان (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)

وقال في القيام (من قام رمضان إيماناً واحتساباً
وقال في الحج (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج
من ذنوبه كيوم ولدته أمه) وهكذا ، وهذا يبين لك
سعة أبواب المغفرة ، فقد يفوت العبد بين الصلاة
إلى الصلاة يفعل صغيرة وتكون صلاته قد ذهب
خشوعها فلم يُتم ركوعها أو سجودها أو خشوعها
فوسع الله جل وعلا على العبد أسباب المغفرة
فجعل رمضان إلى رمضان مكفرات ما تهيأ له ذلك ،
جعل العمرة ، إذا فعلها فلم يرفث ولم يفسق
مكفرة فأتته العمرة ، جعل الحج إلى الحج مكفر
وهذا جواب سؤال أُشكل على كثير من أهل العلم
وهو أنه أن يقال كيف صار رمضان إلى رمضان
مكفر مع أن الصلاة إلى الصلاة مكفرة فإنه إذا أتى
رمضان مع الصلوات الخمس فإنه سيأتي ولا ذنب
صغير فإذا أتى الحج فسيأتي ولا ذنب صغير لأن ما
قبله يُكفر فالصلوات تكفر ورمضان يكفر فغلطوا
من هذه الجهة فجعلوا الحج مكفراً للكبائر لأنهم
قالوا : إنه سيأتي ولا ذنب فكيف يخرج من ذنبه ،
إذن والجواب عن هذا الإشكال أن المسألة في سعة
أسباب المغفرة وكل سبب مشروط كلا سبب من
هذه الأسباب مشروط كما جاء في الأدلة ، والحمد
لله على سعة مغفرته وله الثناء الحسن ، ونشكره
سبحانه ونثني عليه الخير كله فهو سبحانه الذي منَّ
علينا بالهداية ومنَّ علينا بسعة المغفرة وسعة
أسبابها فله الحمد في الأولى والأخرى سبحانه
وتعالى .
المغفرة : اسم لشيئين يعني في الشرع لستر
الذنب والثاني لمحو أثره ، وفي اللغة المغفرة
مأخوذة من الغفر وهو الستر ، غفر الشيء إذا

ستره ، ولهذا سمى المِغفَر الذي يلبس في الحرب على الرأس سميَّ مِغفراً لأنه يستر الرأس من وقع أثر السيوف أو من أثر وقع السيوف ، يستر الرأس من أثر وقع السيوف .

فإذن المغفرة تشمل في الشرع شيئين : ـ

1ـ محو الذنب ستر الذنب .

2ـ والثاني محو أثره .

فستر الذنب يشمل شيئين : ـ

الأول : أن لا يفضح العبد .

والثاني : أن يمحى من صحيفته .

ومحو أثره يشمل شيئين أيضاً : ـ

1ـ محو أثره في الدنيا بعقوبته في الدنيا .

2ـ ومحو أثره في الآخرة بعقوبته في الآخرة .

وكل من هذه الأشياء الأربعة لها أسباب خاصة بها والمقام يطول بذكرها فنرجئها إن شاء الله إلى موضع تذكر فيه المغفرة ، بإذنه تعالى وبمشيئته وإعانته وتوفيقه .

س :

ج : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً بعض العلماء فهم من آية النساء هذه أن الصغيرة تكفر بمجرد اجتناب الكبائر وهذا فيه نظر ، وإن كان قال جمع من أهل العلم لكن فيه نظر لأن الآية ذكرت أن الله يُكفِّر قال إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فذكر أنه يُكفر وهذا التكفير ليس بسبب الاجتناب فقط فإن الآية ما دلت عليه وإنما دلت السنة على أن تكفير الكبائر يكون بأسباب أُخر ، فإذن الأدلة لا تدل لمن قال إن اجتناب الكبائر بمجردة تُكفَّر به الصغائر وإنما تدل على أن اجتناب

الكبائر به يكفِّر الله جل وعلا الصغائر ، لكن ما الأسباب التي مع الاجتناب هي ما ذُكرت في الأحاديث ، فإذاً كون الصلاة إلى الصلاة مكفرات لما بينها ما اجتنبت الكبائر ، والوضوء معه تحات الخطايا ، ونحو ذلك هذا كله بشرط اجتناب الكبائر فإذاً قوله تعالى نكفر عنكم سيئاتكم يعني بما شرعنا من الأسباب التي تكفر السيئات .

س :

ج : هذا مبني على فهم معنى الدرن ، هل يبقى من درنه شيء ثم قال (فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا) فهل يقال : إن الكبيرة تسمى درن فهذا ليس بظاهر ، فإن الكبائر أعظم من الأوساخ التي هي الأدران التي تعلق بالإنسان فالظاهر من الحديث من حيث اللغة ، تعليقه بالأدران وهي ما يتسخ به المرء ويُلمَّ به من صغائر الذنوب ، هذا من جهة اللغة أما من جهة الاستدلال الآخر فاجتماع الأحاديث يدل على أنها لا تكفر كل شيء طبعاً هناك من قال : أن الحج يكفر كل شيء وأن الصلاة تكفِّر كل شيء وهو مذهب لبعض الفقهاء يكفر حتى الكبائر للموحد ، ولكن هذا ليس بصحيح لمخالفته لظاهر آية النساء .

س :

ج: الإحسان في إيش ؟ الإحسان تفسيره بإخلاص العبادة وبمتابعة السنة هذا تفسير الإحسان وهذا ينشأ عن أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك يعني ينشأ كماله فتقييدها بالإحسان أو أنه يجمعها الإحسان ليس بوجيه ، لأن الإحسان درجات ليس درجة واحدة .

س :

ج : لا هذا في التوبة التكفير يكون بالمغفرة وبالتوبة وبأسباب يعني إذا فعل العبد المعصية فإن تكفيرها يكون بأسباب عشرة ، عشرة أسباب دلت عليها النصوص ، منها أشياء من العبد ، ومنها أشياء من إخوانه أو من غيره أحسن ، من إخوانه ومن الملائكة ومنها ما هو من الله جل وعلا فما هو من العبد فعل الحسنات الماحية : إن الحسنات يُذهبن السيئات واستغفار العبد وتوبته ، الاستغفار شيء والتوبة التي هي الندم والإقلاع والعزم شيء آخر ، ومنها أسباب من العباد ومنها أسباب من الله جل وعلا ، مثل المصائب في الدنيا والأهوال في البرزخ وما يجري في عرصات القيامة المقصود أنها عشرة أسباب دلت عليها الأدلة ، منها ما هو من العبد ومنها ما هو من غيره ومنها ما هو من الله جل وعلا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم من أهل العلم النافع وممن إذا تعلم عمل وممن إذا عمل اتبع السنة إنه سبحانه جواد كريم ثم هذه الآية وهي قوله تعالى : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم * إن ربك واسع المغفرة * هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعـــــلم بمن اتقى دلت على أن العبد وإن كان عالماً بنفسه فيما يحصل منه من كبير الذنوب وصغيرها فإن الله جل وعلا أعلم منه بنفسه وبأحواله وكيف نشأه في الرحم بل

وكيف نشأ أباه آدم من الأرض حتى أصبح بشراً سوياً وهذا يدل على أن العبد قد يفوته أشياء مما يعمل من الذنوب وعلم الله جل وعلا نافذ فيه يعلم سبحانه أحواله كلها وقد يفعل العبد بعض الذنوب وهو غافل عنها ثم لا يذكرها ولهذا كان من الواجبات أن يتوب العبد توبة عامة من الذنوب جميعها ، ما يعلمها وما لا يعلمها ، قال سبحانه في وصف المؤمنين الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم * إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم يعني أن علم الله سبحانه وتعالى كامل فيما يفعله العبد وفي كل شيء فالله سبحانه بكل شيء عليم وكان الله بكل شيء عليما ولهذا التوبة والمغفرة تطلب مما يذكره العبد ومما لا يذكره من الذنوب صغيرها وكبيرها وكما جاء في الحديث أن النبي قال (اللهم أني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه ، واستغفرك مما لا أعلم) وقوله سبحانه وتعالى هنا هو أعلم بكم هذا وجه تعلقها بما قبلها من أول الآية هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ومعلوم أن الإنشاء من الأرض إنما هو لأصل الإنسان وهو آدم عليه السلام وأما بنوه فكان إنشاؤهم من الأرض بحكم الدلالة وحكم التبعية ، أما الدلالة فإن الإنسان مخلوق من أو مركب من مكونات راجعة إلى الأرض من أنواع المعادن ومن الماء وأشباه ذلك ، ولهذا إذا مات تحلل في الأرض ورجع لمشابهة بل لأن تكوينه من هذه الأرض وأما بحكم التبع فلأن أبا الإنسان آدم آدم عليه السلام خلق من الأرض من الطين أصالة وبنوه لهم حكمه قال جل وعلا هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض والإنشاء

هو الابتداء يعني إذ ابتدأ خلقكم من الأرض وقوله سبحانه الأرض يعني هذه الأرض بجميع ما فيها ، فجُعِلَ في آدم عليه السلام من أجناس الأرض فإنه كما جاء في الحديث الصحيح فإن الله سبحانه جعل خلق آدم من الطين منوعاً من تربة الأرض فقبض الله سبحانه قبضة من الأرض مشكلة فيها الطين الأحمر والأسود واليابس وفيها السبخة وفيها أنواع الطين فخُلِق منها آدم عليه السلام ، فإذاً قوله هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض يعني بجميع أجناسها لأن آدم خلق من متفرقاتها قال وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم يعني أن علم الإنسان لا يصل إلى كيفية خلق آدم على وجه التفصيل وإنشائه من الأرض وكذلك لا يعلم الإنسان عن نفسه إذ هو في بطن أمه وكذلك لا يعلم عن ولده ولا عن أحبابه ، إذ كانوا أجنة في بطون الأمهات وهذا يقضي بأن علم الإنسان بنفسه قاصر وأن علم الإنسان بنفسه أيضاً غير تام فإذا كان كذلك وجب أن يكون العبد مخبتاً لله جل وعلا خائفاً من علم الله جل وعلا فيه ، لهذا قال سبحانه بعدها فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى قوله وإذ أنتم إذ هنا بمعنى حين ، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ، والأجنة جمع جنين والجنين سميَّ جنيناً لأنه مستتر في بطن الأم ، لأن هذه المادة مادة الإجتنان جنَّ يجنُّ وما يتصرف من ذلك مأخوذة من الستر ، ولهذا سمي الجنين جنيناً وسميَّ الجنون جنوناً لما فيهم من ستر العقل وتغطيته ، ونحو ذلك وبهذه المناسبة نذكر فائدة في اللغة وهي أن تفسير الأشياء تفسير الكلمات لا يكون على وجه الترادف فإننا نقول : الجنون هو ما فيه استتار ، أو ما فيه خفاء أو نقول ما فيه ستر

وتغطية ونقول كذلك في المغفرة إن غفر إنه ما فيها ستر أيضاً ونقول في كفر ، أيضاً الكفر هو الستر والتغطية ومعلوم أن هذا تقريب وإلا فكل مادة من هذه المواد تختص بأشياء فإذن المعنى هذا إذا قلنا إن معنى الكفر الستر والتغطية ومعنى الغفر أيضاً الستر وتغطية وقلنا معنى الجنون ما فيه ستر وخفاء وأشباه ذلك فهذا من جهة التقريب لإيضاح المعنى وإلا فلا ترادف كما هو معلوم فغفر مادة ، وجنَّ مادة ، وستر مادة ، وكفر مادة وكل مادة منها لها ما يخصها وكما ذكرنا لكم أن اللغة ليس فيها ترادف تام على الصحيح وإنما أقسام الكلام مختلفة ما بين تخالف وتوافق وتواطئ واشتراك .

قوله سبحانه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى تزكية النفس في هذه الآية ومثلها آية سورة النساء ألم ترى إلى الذين يُزكون أنفسهم تزكية النفس لها تفسيران :

الأول : أن يزكي المؤمنون بعضهم بعضا ، يعني أن يصف المؤمنون بعضهم بعضا بأوصاف التزكية ، فيصف المرء أخاه بأوصاف التزكية أو يزكيه أو يسمي الأب ولده باسم فيه تزكية ونحو ذلك مثل ما مر معك في تغيير النبي عليه الصلاة والسلام اسم برَّة ، وهذا من تزكية النفس ولكنه تزكية للأنفس داخل في قوله : فلا تزكوا أنفسكم يعني لا يكن بينكم أن يزكي بعضكم بعضا في الإيمان وأشباه ذلك .

والتفسير الثاني : أن لا يزكي المرء نفسه وإذا قيل في المعنى الأول أن المرء قد يكون غير عالم بما عند إخوانه غير عالم بحقيقة أحوالهم فكذلك هو غير

عالم بنفسه وبهل يُقبل عمله أم لا يُقبل ، هل قُبِلَ ما تقرب إلى الله به أم لم يُقبل ، هل ما يعمله كان صالحاً أم كان غير صالح ، وتزكية المرء لنفسه مذمومة داخلة في عموم الآية فليست الآية في تزكية المؤمنين بعضهم بعضا ، أو ما أشبه ذلك كما قد يظهر من كلام الحافظ ابن كثير بل يدخل فيها من باب أولى ، بل من دلالة المعنى أن يثني المرء على نفسه وأن يزكي نفسه ، إما بالأوصاف أو بالأعمال ، أوأن يُقر ذلك ولهذا كان أبو بكر إذا أثنى عليه ، كان يقول : اللهم اجعلني خيراً مما يظنون علناً يقولها علناً ، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون وهو مروي بالإسناد الصحيح عنه عند الإمام احمد في الزهد وعند غيره ، وسبب نزول آية النساء في هذا المعنى فإن اليهود كانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ويقولون ما عملنا بالنهار يغفره الله جل وعلا بالليل ، وما عملناه بالليل يغفره الله بالنهار ويقولون : إن آباءنا تشفع لنا ونحن خاصة الله ونحو ذلك ، إذا تبين ذلك فإن تزكية المرء نفسه أو لغيره منهي عنها ، وهذا على وجه العموم ، يعني عموم الحالات إلا فيما يُحتاج فيه إلى التزكية فإذا احتج إلى التزكية حاجة شرعية فإنه يزكي من يعلم ، ولا يجوز أن يزكي المرء من لا يعلم حاله وهذا مع الأسف انتشر في هذا الزمن حتى بين طلبة العلم فيزكي المرء الآخر وهو لا يعلم حاله ، بناءاً على ظاهر أمره ، يسميها تزكية ، ربما كتب له في هذا وربما أتى وأثنى عليه وإذا دُقق في الأمر إذ هو لا يعرفه معرفة جيدة ، وقد أثنى رجل وقد سأل رجل ، بل وقد سأل عمر بن الخطاب الناس عن رجل هل منكم من يعرفه . فقال رجل :

نعم أنا أعرفه وذكر ما فيه من الخير فقال له عمر : هل جاورته ؟ قال لا قال هل صاحبته في سفر ؟ قال : لا قال هل بايعته بالدرهم والدينار ؟ أو قال هل عاملته بالدرهم والدينار ؟ قال : لا. قال أظنك رأيته يركع في هذا المسجد فزكيته . وهذا لا شك أنه يعنى أن التسارع في التزكية وثناء الناس بعضهم على بعض دون بينة ودون برهان ودون معرفة . أن هذا مما لا يجوز لأن الله جل وعلا نهى عن تزكية النفس فلا ينبغي أن يزكى المرء أحداً إلا لحاجة ولمن يعرف . حاجة شرعية ، ولمن يعرف أنه مستحق لذلك فكيف بمن يكتب لمن لا يعرف وكثير ما يأتينا بعض الأخوان يقول : أنا أريد تزكية ، أريد تعريف للجهة الفلانية وليس هو ممن نعرفه أو يكون ممن حولنا وكأن الأمر صار سائغاً بأنه يكتب لمن تعرف ولمن لا تعرف ، وهذا لا شك أنه مخالف لمقتضى النهي عن تزكية النفس ن فلا يجوز لأحد أن يزكي أو أن يُعرِّف إلا من عرفه ، ويكون فيما كتب شاهداً أن هذا الذي كتبه في وصفه لفلان أنه صحيح وليس باب التزكية باب مجاملات ولا باب تعاطف ، وإنما هو باب شهادة والمرء لا يجوز له أن يشهد بالزور أو أن يشهد بما لا يعرف ، إنما يشهد بما علم قال سبحانه فلا تُزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومجيء كلمة هو هنا دون الاسم الظاهر في الآية هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى هذه العدول عن الاسم الظاهر إلى كلمة هو هنا إلى الضمير هذا فيه فائدة في البلاغة وهي إعطاء الهيبة والإهتمام لهذا الذي يذكر لأن العدول من الظاهر إلى المُضمر أو العكس له

فوائد في البلاغة ينبغي الاعتناء بها لكثرة ورودها في التفسير هو أعلم بمن اتقى يعني هو أعلم منكم بمن اتقى منكم ممن لم يتق ، والثناء إنما هو على المتقين وذلك يوجب على المرء أن لا يُزكي نفسه وأن لا يزكي غيره .

س :

ج : لا هذا ما فيه تزكية فقول : هذا شهادة ولهذا جاء في آخر الحديث قال (أنتم شهود الله في أرضه) بيشهد له أو بيشهد عليه أمَّا فلام مؤمن فلان صالح فلان فيه وفيه كثرة ذلك من علامات آخر الزمان فيكون في آخر الزمان مثل هذه الأقوال ، يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ، وليس في قلبه من الإيمان حبة خردل واليوم كثُر الناس في الثناء على بعضهم بعضاً وتوسعوا في ذلك توسع يخشى منه طبعاً معلوم أن باب الثناء غير باب الدعاء التزكية شيء وأن يدعا للمرء بما عمل من الصالحات شيء آخر الدعاء مشروع ، الدعاء له بما عمل ومكافأته بالدعاء ، أو الدعاء له بما قدمه لك أوما قدمه لغيرك أو قدمه للمؤمنين للمسلمين ، هذا كله مشروع لكن الثناء العام أو التزكية هذا لا شك أنه منهي عنه .

الحديث إن كان المرء مثنياً فليقل أحسب فلان والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا نعم فهذا لا بأس إذا احتجت إليه ، قل أحسب فلان كذا ولا أزكي على الله أحداً .

س : احسبه هنا بمعنى أظنه ؟

ج : نعم أظنه كذا لأن الأمر فيه ظاهر وباطن ، فيه خفاء ما تدري عن حقيقة الأمر ، ما تدري هل هو صادق منه في قوله أم في عمله أو فيما يُظهر أم

ليس بصادق ، المسألة عظيمة لأنك أنت الآن تشهد له هو أعلم بمن اتقى سبحانه .
قال تعالى أفرأيت الذي تولى * وأعطى قليلاً وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى * ألا تزروا وازرة وزرا أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى .
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد
.........................-
فهذه الآيات العظيمة من هذه السورة الكريمة سورة النجم اشتملت على أصول العمل الذي يجزى عليه العبد ، وأن أب الأنبياء إبراهيم عليه السلام قد أكمل عمله واستمر فيه ولم يقطعه وأنه خلف ذلك فيمن بعده وترك فيهم الكلمة العظيمة أن لا تزروا وازرة وزرا أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى
فقول الله جل وعلا أفرأيت الذي تولى * وأعطى قليلاً وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى هذا في بيان حال طائفة من الناس التي تُعطي ثم تقطع ، تعمل ثم تترك وكأنها بذلك قد عملت شيئاً من الغيب فلهذا خشيت أن لا يستمر غناها أو أن بفوتها شيء من الدنيا وقوله جل وعلا: أفرأيت الذي تولى يعني عن طاعة الله أو عن الاستمرار في طاعة الله وأعطى قليلاً مما آتاه الله جل وعلا وأكدى ثم قطع هذه العطية إما قطعاً حقيقياً بأن ترك الإعطاء وإما أن قطع ثوابها بالمنة ، والمن في الصدقة يبطلها كما قال جل وعلا: لا تُبطلوا

صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس فقوله جل وعلا : وأعطى قليلاً وأكدى أكدى كما سمعت بالتفسير بمعنى قطع والقطع يكون قطعاً حقيقياً يعني يترك العطية ، أو أن يترك أدب العطية ، وأدب الصدقة وأدب الأنفاق ، وهو أن ينفق إبتغاء ما عند الله جل وعلا ولا يُتبع ما أنفق منَّاً ولا أذى ثم قال أعنده علم الغيب فهو يرى وهذا توبيخ له في قطعه لعمله الصالح بتركه أو بالأذى بالمن بالصدقة فقال : ما سبب ذلك ووبخه على شيء يعلم هذا الذي قطع وأكدى أنه ليس بمتحقق فيه ، وهو علم الغيب فقال أعنده علم الغيب غهو يرى يعني هل يعلم ما في الغيب بأنه لن يأتيه من الله عوض ما أنفق فهو يرى ذلك رأياً بيناً أو أن هذا الذي بذله أنه سيثاب عليه جزماً ، ولو أتبعه بالمن والأذى ، هل ضمن ذلك ، هل عنده إطلاع على علم الغيب ، فلذلك هو يقطع أو يمن ولا يخشى من الله جل وعلا العقوبة أم لم ينبأ بما في صحف موسى أم أن الحقيقة أنه ما عنده علم بما جاءت به الأنبياء والرسل إلى آخر ما جاء في الآيات كما سيأتي قوله سبحانه أفرأيت الذي تولى الفاء هنا الآتية بعد الهمز ذكرنا لكم مراراً أن الفاء والواو يكثر مجيئها في القرآن بعد الهمز وتكون عاطفة لما بعدها على جملة محذوفة قبلها ، يناسبها السياق تقدر بحسب سياق الكلام والمقصود منه وقوله تولى التولي في حقيقته اللغوية أنه إعطاء الظهر للمقبل عليه فإذا أقبل ثم أعطى ظهره لمن أقبل عليه يقال تولى فأقبل ثم ترك ولهذا يُقال : ولى فلان هارباً من هذا الباب ويُقال : تولى بعد إقبال ، وأدبر بعد إقبال ، والمعنى متقارب ، فهذا الذي تولى

في لفظ تولى دلنا على أن حالة هذا الرجل أنه أقبل ثم أدار ظهره لما أقبل عليه وتركه فيكون ما بعده □ وأعطى قليلاً وأكدى □ فيها صورة من صور إدباره وهو أنه قطع العطية وإلا فالتولي عن الحق يعمَّ ترك استمرار الإعطاء أو قطع الإعطاء أو ترك الحق والهدى بعد إذ آتاه الله جل وعلا كما قال سبحانه □ والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى □ إلى آخر الآيات فوصف حال المقبل ووصف حال المدبر المتولي ، السياق وأفاد فائدة بلاغية وهي تهوين ما أعطى والاستهانة به ومعلوم أن الشيء القليل إذا كانت نيته صالحة فإنه يعظم وإذا كان طاعة لله فإنه يعظم وأن الشيء الكثير إذا خالطه الرياء والمنَّ والأذى وأشباه ذلك فإنه يصغر ويكون قليلاً لا خير فيه ، فالعبرة في الكثرة والقلة ليست بالأرقام وإنما قال عليه الصلاة والسلام فيما ثبت في الصحيح (سبق درهم مائة ألف درهم) يعني درهم واحد صار أعظم أجراً من مائة ألف درهم قالوا : كيف ذاك يا رسول الله (قال ذاك رجل ليس له إلا درهمان فتصدق بأحدهما وذاك رجل عنده مال كثير أخذ من عرضه بمائة ألف درهم فتصدق به) يعني فإنه لم يؤثر فيه هذه المائة ألف درهم وليست بنصف ماله ولا بنحو ذلك فإذن العبرة في القلة والكثرة إنما هي بمعاني الإيمان وهذا كما يصدق في الأموال يصدق في الناس ويصدق في العبادات فالصلاة قليلها مع خشوع وتكميل أعظم من كثيرها بلا خشوع وتكميل وكذلك الكثرة في

الجهاد وأشباه ذلك ليست بذات بال بل المقصود المعنى وقد قال تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنيَّ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت الآيات وقال جل وعلا أيضاً في ذكر غزوة بدر وما كان فيها إذ يُريكهُمُ الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلَّم فإذن المسألة الشرعية ليست مبنية على الأعداد لا في أمر العبادة في الصلاة ولا في الصدقة ولا في الصيام ولا في الحج ولا في الجهاد ، وكذلك في أمر الدعوة وهكذا المقصود أن يكون الإعطاء والبذل والجهاد والدعوة على الوجه الصحيح الذي يرضى عنه الله جل وعلا ، لهذا قال في هذه الآية ناسب مجيء توفية إبراهيم وهو تكميله لعمله وتكميله لطاعة ربه حيث قال وإبراهيم الذي وفى كما سيأتي بيانه ، يعني كمَّل عمله وطاعته لربه جل وعلا ، أكدى الهمز فيها ليس همز تعدية لأن الهمز يدخل على الفعل ويعدَّى الفعل من الفاعل إلى المفعول ، يعني يكون الفعل متعدياً بعد أن كان لازماً وتارة تأتي الهمز ويكون الفعل لازماً ولهذا أمثلة في النحو ولهذا أمثلة فليست كل همزة تأتي في الفعل أو أشباه ذلك تكون للتعدية .

 أكدى يعني قطع هو قطع عمله فأكدى عمله يعني قطعه وأكدى هو يعني إنقطع هو ، أكدى فلان يعني انقطع ، أكدى فلان في عمله يعني انقطع هو ، وإذن هنا تكون الهمز لازمة ، يعنى أعطى هو ، بدون أن يقال أعطى غيره ، وأكدى هو يعني قطع هو ، أعطى وانقطع أو تكون للتعدية يعني أعطى غيره وقطع عمله ، أو وقطع غيره عن صدقته ، ثم قال

أعنده علم الغيب فهو يرى والهمز هنا للتوبيخ لأن ما بعدها غير مثبت فهو ليس عنده علم الغيب فلهذا قال أعنده علم الغيب فهو يُرى يعني توبيخاً له وليس هذا بإنكار أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزروا وازرة وزرا أخرى إبراهيم عليه السلام وفَّى سمعت الأقوال في توفيته ويجمعها يجمع التوفية أنه أطاع الله جل وعلا ، وكمَّل طاعته وبلَّغ رسالته كاملة كما قال جل وعلا وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فأتمهن إبتلاه بكلمات شرعية وهذه الكلمات الشرعية مشتملة على أوامر يجب إمتثالها وعلى أخبار يجب التصديق بها كما قال سبحانه وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً يعني صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأمر والنهي ، فإبراهيم عليه السلام ابتلى بكلمات بُعِث بها وأمر بالعمل بها وابتلى بكلمات من صفة الله جل وعلا وأمور الغيب إلى آخره فوفى ما جعله الله جل وعلا موحى إليه فعمل بالأوامر وصدق بالأخبار وكمل ذلك ، فإذن التوفية توفية إبراهيم راجعة إلى تتميم ما أمر ببلاغه وإبلاغه وهو الإتمام في الكلمات قوله ألا تزر وازرة وزرا أخرى أن هنا في قوله ألا ، ألا هنا مشتملة على (أن)و (لا) وأن هذه إما أن تكون مخففة من الثقيلة كأنه قال : وأنه لا تزر
وا وازرة وزرا أخرى وهذا يكون تفسير للتوفية أو تكون توفيته بإبلاغه الرسالة وإبلاغه للرسالة فيه معنى القول والإبلاغ فتكون أن تفسيرية ، تفسير للتوفية يعني ما بعدها تفسير لما قبلها ، فوفى يعني بلغَّ رسالته وأتم البلاغ في رسالته لا تزروا وازرة وزرا أخرى   وليس للإنسان إلا ما سعى فإن في الموضعين تكون تفسيرية ، إذا قلنا إن وفى ما بعدها

هذا تفسير لها وفَّى بمعنى تبليغ الرسالة وهو بحث نحوي يكثر خلاف المفسرين فيه في أكثر المواضع في القرآن في تقدير أن بالمخففة أو بالتفسيرية لاتزروا وازرة وزرا أخرى يعني أن المرء لا يحمل عليه ذنب غيره لا يُحمل عليه ذنب غيره وإنما يُحمل عليه ذنبه وأن الآخر لو أذنب فإنه لا يصل ذنبه لهذا الذي لم يذنب لأن الذي لم يذنب ولم يبذل سبيلاً في الإذناب ولا فتح وسيلة له فإنه ليس عليه جريرة تصله من الآخر .

وهذه قاعدة شرعية عامة جاءت بها الرسل جميعاً أن المرء لا يؤاخذ بذنب غيره ، لأنه لم يعمله ولم يكن وسيلة فيه ، وأما إذا كان وسيلة فيه أو سن هذا الأمر فإن ما بعده يصله من ذنبه ، كما قال عليه الصلاة والسلام (ما قُتلت نفسٌ إلا كان على ابن آدم الأول نصيباً من وزرها ، لأنه سن القتل)

وأشباه ذلك ، إذن ضابط عدم المؤاخذة بأن لا يكون عاملاً بالذنب أو فتح باباً له أما إذا أعان عليه أو فتح باباً له أو من وسيلة له ، فإن عليه الوزر ووزر من اتبعه في ذلك ، ثم قال جل وعلا وأن ليس للإنسان إلا ما سعى هذه الجهة الأخرى تلك في جهة الذنب وهذه في جهة العمل والثواب وهل ليس للإنسان إلا ما سعى فكما أنه لا يؤاخذ بجريرة غيره فكذلك لا يعطى من سعي غيره فغيره إذا سعى فسعيه له وليس لفلان سعي غيره ، إلا إذا كان لفلان الذي سعى أثر من الأول يعني أن يكون الأول فتح باباً للخير فجاء من اقتدى به أو تصدق أو ورَّث علماً ينتفع به أو نحو ذلك كما جاء في الحديث ففي سورة الوزر ، إذا فتح باب وسيلة أو عمل سنة سيئة فعليه الوزر وكذلك هنا إذا فتح باب وسيلة في

الخير أو سن سنة حسنة فله مثل اجر من اتبعه لأن ذلك من سعيه هذه الآية سمعت كلام الشافعي رحمه الله فيها في مسألة إهداء ثواب القراءة للأموات ، يعني أن يقرأ القارئ شيء من القرآن ويقول بعده : اللهم اجعل ثواب قراءتي هذه لفلان وهذه المسألة اختلف فيها العلماء اختلافاً كبيراً على مذاهب متنوعة في هذه المسألة بخصوصها ، وفي أصل المسألة وهو إهداء ثواب القُرب للأموات جميع أنواع القُرَب ، والمذاهب فيها كما ذكرت لك متعددة لكن أشهرها :

الأول : أن الأعمال التي يعملها المسلم فإن ثوابها لا يصل إلى الميت إلا فيما جاء فيه الدليل فقط ، وأما ما لم يأت فيه الدليل فإنه ليس لأحد أن يهدي الثواب للميت وإذا أهدى فإنه لا يصله ن ليس لأحد أن يهدي لأنه مخالف للسنة فيأثم عليه ولا يصله لأنه ليس للإنسان إلا ما سعى فهذا هو المذهب الأول .

الثاني : وهو مذهب كثير من أهل العلم ومن أهل الحديث والمذهب الثاني هو كالمذهب الأول لكنه يخص بأن الساعي يكون ولداً لمن أهدى له الثواب فليس كلمن أهدى ثواب الصدقة أو تصدق عن غيره أو حج عن غيره يصله ، بل لابد أن يكون ولداً له وذلك لأنه قال وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وهذا حصر ويخرج به كل أنواع الإهداء ويبقى ما يدخل في سعيه والولد من سعي المرء كما قال في الحديث (إن أولادكم من كسبكم) وهذا مذهب قليل من أهل العلم وذهب إليه من المتأخرين الشوكاني والألباني وغيرهما .

والمذهب الثالث : أن سعي المرء له ، لاشك كما نصت الآية ، وهذا حصر ليس للإنسان إلا ما سعى

 ولكن ليست الآية أن سعي غيره إذا تبرع به لذاك فإنه يخرج عن كونه جائزاً أو مشروعاً صورة هذا المذهب أن المرء إذا عمل الطاعة تصدق وقرأ القرآن وصام وحج وأشباه ذلك ، فالثواب له فقد سعى وأوجر على سعيه وإذا كان كذلك فله ما سعى والأجر صار إليه ، فإذا تبرع بأجره وثوابه فلا يكون متبرعاً بسعيه ، ولكن يكون متبرعاً بالأجر ، والأجر له ، الأجر بالحسنات له فعليه فله أن يعطيه من شاء ، لأن هذا الأجر له ، وهذا المذهب قال به عدد من أئمة أهل السنة كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأكثر أئمة الدعوة ويقول العلماء فيه وأي قربة تقرب بها المسلم وأهدى ثوابها لمؤمن حي أو ميت نفعه ذلك ، وهذا فيه سعة ، والمقصود أنه إذا فعل فإنه يصل لكنه ليس بسنة يعني عند الإختيار لا يُفعل لأنه لم يجر عليه عمل السلف لكن ليس كل ما لم يجر عليه عمل السلف يُعد مردوداً كما هو معروف في القواعد ، لأن هناك ضوابط في هل كانت الحاجة إليه أو لم تكن الحاجة إليه وأشباه ذلك ، ولهذا ذهب ابن القيم رحمه الله في تفصيله لكلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، أن هذا يدخل في كل أنواع القُرب حتى صلاة النافلة ولكن لا يصلي عن غيره ، ففرقوا ما بين صورتين ما بين النيابة وما بين إهداء الثواب ، فالنية في البداية لا تكون العبادات إلا بما جاء فلا يُصلين أحد عن أحد بمعنى ينوي بصلاته أن تكون عن فلان ، فهذا لا يصلح لأنه نيابة في العبادات قد جاء في الأثر (لا يُصلينَّ أحدٌ عن أحدٍ) ولكن إذا عملها لنفسه واستقر ثوابها إن كانت قبلت فعند ذاك إهداء الثواب هو إهداء أجر حصل له فليس هو بنيابة ، وليس هو

بإعطاء غيره سعيه وإنما إعطاء الغير ما ثبت له وهو الأجر ولهذا أطال عليها شيخ الإسلام في موضع وعُدَّ هذا من اختياراته حتى صلاة التطوع عنده له أن يُهدي ثوابها ما يصلي عن غيره لكن يُهدي الثواب ، يُهدي ثواب قيام ليلة لأبيه ، يُهدي ثواب القراءة إذا قرأ يُهدي ثواب الصدقة ، الصدقة يُهدي ثوابها أو ينويها من البداية لأنه جاءت به السنة .
فإذاً تحصيل هذا المذهب التفريق ما بين النية في أوله وما بين إهداء الثواب في آخره فما جاء في السنة النيابة فيه مثل ما ذكر الصدقة والحج وأشباه ذلك فإنه تجزي النية من أوله وما لم يأت فيه الدليل ، فإنه ليس للإنسان إلا ما سعى فإذن عمله على تقدير أنه قُبل منه وأُثيب فإن له أن يهديه يُهدي ثوابه وهذا كما ذكرت لك لا على وجه الاختيار ، فالناس يُعلمون السنة لكن لو أحد عمل ذلك أو قرأ وأهدى الثواب فإنه يصل إليه .
الآية استدل بها المعتزلة واستدل بها طوائف يعنى مما هو معروف وترجعون له في كتب العقائد قال ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ يعني إلا الذي سعى فيه ﴿ وأن سعيه سوف يُرى ﴾ يعني يراه الله ورسوله والمؤمنون سوف يُرى من الذي يرى سعيه يراه الله جل وعلا ويراه رسوله ويراه المؤمنون أيضاً فيما ينشر من الصحائف إلا ما ستره الله جل وعلا عليه من الذنوب قال ﴿ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ فإن الله سبحانه لا يظلم الناس شيئاً بل يجزى الله جل وعلا الذي يعمل بالخير الأوفر الكامل فيضاعف رب العالمين لمن شاء .
س :

ج : ﴿ وأن ليس للإنسان ﴾ اللام هذه لام الملك ، يعني لا تملك إلا ما سعيته أما ما سعاه غيرك فلا تملكه أنت ، اللام هذه لام الملك ليس للإنسان لا يملك الإنسان إلا ما سعاه ، أما ما يسعاه غيرك فهو له ، ليس بلك ليس لك ، وإنما هو له واضح ؟ يعني أن عمل غيرك لا تملكه أنت هو الذي يملكه فإذا ملك هو عمله معنى ذلك أنه يملك ثواب عمله فهو إذا أراد أن يتبرع بذلك فله ذلك فإذاً اللام هذه لام الملك فمن أهدى الثواب فالسعى له أصلاً ، فلذلك إهداء ثوابه فرع عن تملكه ، فلا يقال أن الأول ملكه بسعي غيره ، لأنه مناقض للآية فعمل فلان العمل فكان لغيره ، هذا ظلم كما أنه لا يحمل عليه من وزر غيره كذلك لا يأتيه من سعي غيره لأن سعي غيره له واضح ذلك ، فإهداء الثواب لا يعني مخالفة الآية لأن اللام فيها للملك .

س :

ج : نحن ذكرنا هذا قلنا إن الولد يعني الثلاث المذكورة هذه من سعيه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له هذه من سعيه ، هذه يملكها لأنها من سعيه ، العلم الذي ينتفع به من سعيه فله ، والصدقة الجارية من سعيه فله ، والولد الصالح من سعيه (وإن ولدكم من كسبكم) فهو له ، الكلام على سعي غيره ن أما إذا كان سعى فيه فليس الكلام فيه .

س :

ج : هو حر يدخل نفسه يدخل غيره يعني هذا ما يُهدي ثواب الفرائض يُهدي ثواب القُرب نعم فإذا هو له ، على قول شيخ الإسلام ابن القيم والإمام أحمد

والجماعة ، لو أهدى الثواب هو له ، إذا أراد أن يتبرع بأجره مثل ما يشغله سنة ويتعب ويأخذ مائة ريال ثم يعطيها غيره تبرعاً هو أجر سماه الله جل وعلا في القرآن أجر يعني ثواب العامل سمَّاه أجراً .

س :

ج : النيابة تكون في أول العمل ، يتصدق عن فلان في أوله يحج عن فلان في أوله هذا ما تجوز النيابة إلا فيما جاء فيه الدليل ، لأن هذا ابتداء العمل تعمل العمل ابتداءاً لابد أن يكون على سنة ، ولو عمل العمل ابتداءاً على غير سنة لكان كان باطلاً يعني مثلاً لو قال اللهم إني أنوي بقراءتي هذه لأبي أنوي بقراءتي هذه لفلان من أهل العلم هذا يكون إيش ؟ مبناها على التوقيف هذه عبادة الآن ينشئ عبادة ينوب فيها عن غيره ، لكنه إذا عملها هو وقُدِّر أنه ثبت الأجر ، فالأجر له يعطيه يُبقيه لنفسه يعطيه غيره هذه ليست نيابة ، هذا الآن فرغ من العمل العمل انتهى ، فوقع العمل على وفق الشريعة ، العمل من حيث هو وقع على وفق الشريعة ، لكن بقي الثواب هل يُبقيه له أم يعطي ثوابه لغيره ، الثواب أجر له أن يبقيه لنفسه أو يعطي غيره ، ولذلك الفرق ما بين الفرائض والنوافل في هذه السورة أن الفرض ليس المقصود منه الثواب فقط ، وإنما المقصود به أيضاً سقوط التكليف ، يعني براءة الذمَّة الأجزاء ، التكليف لأنه فرض فهو لا يجوز له أن يهدي ثواب الفرض ، لغيره لأن هذا الفرض شمل شيئين : ـ

1ـ شمل أنه أجزأ ولما أجزأ أثيب فلا يتصور الفرق ما بين إثابته وقبوله واجزائه وسقوط التكليف به يعني التكليف الخاص .

س :
ج : راح يهديه ليس بنية العبادة ، نية العبادة ، بمعنى أنه ينوي بهذه العبادة إمتثال الأمر الذي توجه له ينوي بهذه العبادة التقرب إلى الله جل وعلا بنفسه طبعاً ما فيه واحد يتقرب عن غيره ، فهو حين تقرب ، تقرب لنفسه وقعت العبادة صحيحة قربة إلى الله جل وعلا فثبت الأجر بعد ذلك يأتي إنشاء أهدى ، وأعطى أو لم يعطي هذه صورة القول الثالث واضح لك ؟ .

س :
ج : لا هذا أمل هو يرجو أو نية أنه يُهدي ، أو نية العبادة لأن نية العبادة (إنما الأعمال بالنيات) هي قبل العبادة أما ما سيعمله بعد هذا ماله ، مثل ما يقول أنه ينوي عن الزكاة ثم يقول : أنا إذا أخرجت الزكاة أبا أتصدق عن والدي هذا شيء في نفسه يعني سيعمله بعد أداء العبادة هذا لا اثر له في النية .

س :
ج : الأبيات ما هي واضحة وكون أنه يرد للإنسان في أهله أو في بيته أو في جداره هذا كلام ما هو منضبط شرعاً ، ولا عليه دليل ، إن العبد يخشى من ذنوبه ويخشى أنه إذا انتهك حرمات المسلمين أن تُنتهك حُرمته ، لأن الله جل وعلا يقول وجزاءُ سيئةٌ سيئةٍ مثلها فإذا انتهك حرمة غيره فيُخشى أن تُنتهك حرمته ، أما الأبيات المنسوبة للشافعي اللي ذكرت مطلعها (ومن يزنِ يُزنَ به ولو بجداره ... هذا الكلام ماله معنى .